

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية و الاجتماعية

تطور المسكن الواحاتي - منزل سي الحواس نموذجاً -
دراسة تاريخية أثرية

مذكرة مكّلة لنيل شهادة الماجستير في
علم الآثار ، تخصص آثار صحراوية

تحت إشراف

أ. د . صالح بن قربة

إعداد الطالب

علاوة عبد الحميد

السنة الدراسية 2007 - 2008

الأهداء

إلى

الوالدين الكريمين .

إلى جميع أساتذتنا الأفاضل عبر مشوارنا التعليمي المستمر.

إلى الزوجة الغالية و الأبناء نسيرين وأدم .

إلى كل من مدّنا بيد العون والمساعدة في انجاز هذا العمل.
إلى كل من أحب تراث أجداده ، وأحب البساطة والأناقة في آن واحد.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع .

شكر وتقدير

إن هذا العمل لم يكن على هذا الحال لولا تلك التوجيهات الدائمة والنصائح المتكررة التي لم يبخل علينا بها الأستاذ الدكتور الصالح بن قربة ، الذي اشرف على هذا العمل منذ البداية ، وكان لنا عوناً عندما تكثر علينا المشاق ، و مراقباً عندما يرانا نحيد عن المسار الصحيح للبحث ، فله منا الشكر الجزيل .

ثبت بالمختصرات

الاسم الكامل	رمزه
- Hespéris .	- Hesp .
- Revue algérienne .	-Rev.alg
- Revue africaine .	- Rev.afr
- Recueil des Notices et Mémoires de le Société archéologique de la Province de Constantine .	- Recueil de Constantine
- Travaux de l'institut de recherche saharienne.	- T.I.R.S
- Annales de l'Institut d'Etudes orientales .	-A.I.E.O
-Architecture . Movement . Continuité .	- A.M.C
- Arts et Métiers graphiques .	- A.M.G
- Bulletin d'études orientales .	- B.E.O
- Bulletin de liaison saharienne	- B.L.S
- Bulletin de la Société de Géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord.	- B.S.G.A.A.N
- Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran	- B.S.G.A.O

- Cahier des Arts et Techniques de l'Afrique du Nord	- C.A.T.A.N
- Cahier d'Etudes africaines	- C.E.A
- Corpus d'Inscriptions latinum	- C.I.L
- Congres de la fédération des savantes de l'Afrique du Nord	- Cong.F.S.S.A.N
- Encyclopédie de l'Islam (1ère édition)	- E.I
- Encyclopédie de l'Islam (2ème édition)	- EI2
- Encyclopédie Berbère .	- E.B
- Etudes maghrébines et soudanaises .	- E.M.S
- Habitat . Tradition . Modernité .	- H.T.M
- Journal asiatique .	- J.A

- المقدمة

إن الحضارة هي تعبير عن كل منجزات الإنسان فكريا و وجدانيا وعمرانيا ليحقق ذاته ويطور مجتمعه ، و يسهم في المسيرة الإنسانية ، وهي بهذا التعريف البسيط تشمل مختلف إنتاج الإنسان وعطائه كما تعبر عن مدى إسهام الشعوب و الأمم في تنمية المجتمعات الإنسانية والتسامي بها ، ولكنها بهذا التعريف السهل أيضا ترتبط بعقيدة الإنسان ومبادئه وبيئته وعاداته وتقاليده .

وعلى هذا فان كل مؤسسة بشرية اختارت لنفسها مكان تعيش و تتطور فيه ، يختلف في المناخ والتضاريس ويجتمع في الضروريات كالماء والكلأ وغيرها . فالمناخ والتضاريس حتمت بالضرورة نمط معيشي معين التزمت به كل مؤسسة بشرية وربما كان عاملا في التأثير على مرفولوجية و سيكولوجية الإنسان من جوانب عدة .

و لعل تلك الزيارات التي قمت بها إلى واحة مشونش تركت في نفسي ذلك الأثر الذي انتاب غيري ممن وفدوا إلى هاته الواحة الجميلة و استقروا بها. و مما زاد كذلك من جذب نحوها ، ما قد اطلعت عليه من مقالات تاريخية لم تزد هذه المنطقة سوى تقديرا ، لما كان لها من دور فعال في الدفاع عن هذا الوطن عبر فترات طويلة من التاريخ ، و أنجبت بذلك رجالا ضحوا بالنفس والنفيس . و لعل من أبرزهم في التاريخ الحديث الشهيد عبد الرزاق بن حمودة المعروف لدى الجميع بسي الحواس ، الذي لا يستطيع أي منا إنكار فضله وشجاعته و بطولاته ، كما زاد على هذا كله عندما سمحت لنا الظروف بزيارة متحف مشونش عدة مرات علمنا خلال ذلك أنه كان دارا تخصّ الشهيد ، فحاز في نفسنا هذا كثيرا لما رأينا ما باتت عليه حال هذه الدار التي بقدر ما هي بسيطة في مواد بنائها و تقنيات

إنشائها بقدر ما تعبّر به من ذوق رفيع في بنائها و تخطيطها ، و بهذا اجتمعت لدينا الأمور و هيأت لنا الأسباب فتولدت لدينا الفكرة في دراسة هذا النمط من العمارة في مثل هذه الأماكن ، و الغرض من كل هذا هو إبراز

مزايا العمارة الواحية ، مع التركيز على منزل سي الحواس كونه بقي محافظا على معظم أجزائه الأصلية ، ولم يتعرض إلا لعملية ترميم مستها على مرحلتين مختلفتين ، رغم أنها لم تكن على أصول علمية إلا أنها كانت ناجعة في بعث نفس جديد لهذا المسكن الأصيل .

لقد أردنا من خلال هذا العمل إبراز مزايا المسكن الواحي و ذلك بالإجابة على العديد من التساؤلات التي تبادرت إلى ذهننا و تعلقت بمواد البناء التقليدية المستعملة في بنائه . هل هي ناجعة ؟ و إن كانت كذلك فبماذا تتميز ؟ ما هي خصائصها التقنية ، و إن كان العكس فما الداعي إذن إلى استعمالها ؟ صف إلى هذا كله ، التقنيات المستعملة ، هل هي ناجعة و مبنية على أسس علمية ؟ و ما هي مختلف التقنيات المستعملة في جميع جوانب البناء ؟ و هل هي نفسها في مختلف المباني الواحية ؟ و إن كان كذلك فماذا نفسر اختلافها ؟ فكلّ هذه التساؤلات دفعتنا إلى البحث عن إجابة لها من خلال دراسة هذا النمط من العمارة . خاصة و أن التطور السريع الذي عرفه الإنسان سواء صناعيا أو اقتصاديا و سهولة النقل تركه يستغني عن الكثير من مواد و تقنيات البناء ، مستبدلا إياها بأمور أخرى حلت محلها كاستعمال تقنية الاسمنت المسلح و الحديد وغيره ، مما ترك الأثر البالغ على التقنية البدائية الموروثة و المدرسة ضمن اطر إسلامية بحتة ، الشيء الذي أدى به إلى التخلي عنها أو استبدالها بنظم غريبة عن عاداتنا و تقاليدنا ، فنتج عن ذلك مشاكل جمة مست الفرد اجتماعيا و روحيا و ماديا ، دفعت إلى التساؤل عن مدى نجاح هذا التغيير ، و من هنا هل يمكن التفكير في العودة إلى استعمال الطرق التقليدية الأكثر ملائمة و التخلي عن التقنيات الحديثة ؟ و هذا يؤدي بنا إلى إعادة النظر في تصرفاتنا مع الوسط البيئي الذي نعيش فيه ! و على هذا فقد كان منهج الدراسة المتبع هو المنهج الوصفي التحليلي ثم المقارن بين مختلف الأمثلة المدروسة .

إلا انه تجدر الإشارة بالذكر بأن أي عمل لا يكاد أن يشرع فيه حتى تبدأ المشاكل بالظهور و التكاثر ، فخلال هذا البحث فان أصعب شيء صادفناه هو قلة المراجع و المصادر إن لم نقل ندرتها خاصة تلك التي تتكلم عن تاريخ واحة مشونش ، اللهم تلك المقالات عن بعض الرحالة أو الفنانين التي كانت في معظمها أعمالا تتغنى بجمال المنطقة و لم تتعرض حتى لوصف دقيق عن الأحوال العامة أو الخاصة لأهلها . و لعل أهم وصف رغم إيجازه كان لأحد الجنرالات الفرنسيين وذلك أثناء مدهامة المنطقة سنة 1844 م في محاولة للدخول إلى

منطقة الأوراس عبر البوابة الجنوبية (مشونش) و الذي ورد عن (Guesoy) في كتابه " L'Armée d'Afrique " حيث كان موجزا إلا أنه ينطوي على العديد من الحقائق التي ساعدتنا كثيرا على انجاز هذا العمل ، ضف الى كتاب (Le Sahara et ses oasis) لصاحبه النقيب (Lehuraux) الذي قام بوصف عام لمختلف قرى الأوراس بما فيهم مشونش ، كما أفادتنا كثيرا المحادثة التي قمنا بها مع عمّ الشهيد وهو سي الهادي في معرفة حياة الشهيد وتاريخ الدار و مع كل ذلك كان علينا لزاما اللجوء إلى مختلف الدراسات التي شملت المنطقة بشكل عام كون واحة مشونش بالضرورة الجغرافية تشترك في تاريخ بسكرة و الأوراس .

ولانجاز هذا البحث فقد تم تقسيمه إلى الفصول التالية :

مقدمة تناولت التعريف بموضوع البحث و اشكاليته ، يليها مدخل عام تناولنا فيه دراسة عامة لواحة مشونش ضمن الإطارين الجغرافي و التاريخي كما تطرقنا كذلك فيه إلى حياة صاحب هذا الأثر ومآثره. أما الفصل الأول فتمّ تقسيمه إلى ثلاثة مباحث وهي : المبحث الأول تناولنا فيه أنواع الواحات وهذا ضمن الإطار الجغرافي ، المبحث الثاني تناولنا فيه عوامل ظهور المجتمعات الواحاتية ومراحل نموّها وهذا ضمن الإطار التاريخي أما المبحث الثالث فقد تناولنا فيه أنماط المنشآت الواحاتية وقد خصصناه لدراسة

القصور الصحراوية خاصة كونها من أهمّ مميزات العمارة الصحراوية و تطرقنا فيه كذلك الى العلاقة التي تربط القصر بالمدينة. أما الفصل الثاني فقد استهلناه بدراسة مجموعة من الأنماط السكنية التي تنتمي الى واحات مختلفة و قد اخترنا نماذج من واحة وادي سوف و الأغواط ، ضف الى نماذج من دور واحة مشونش مع إطلاق العناية الكافية بدراسة النموذج الأصلي وهو دار سي الحواس ، وقد تمّ إجراء مقارنة بين مختلف النماذج و كان الغرض منها معرفة أوجه الاختلاف والتشابه بين مختلف الدور الواحاتية. أما الفصل الثالث فقد خصصناه الى دراسة تقنيات ومواد الإنشاء المستعملة في دار الشهيد و المنطقة بصفة عامة . كما تظمنت هذه الدراسة خلاصة إلى مجمل الملاحظات والاستنتاجات المتوصل إليها ، و قد قمنا بتدعيمها بصور و خرائط و مخططات محاولين بذلك تقريب الصورة للباحثين في هذا المجال حتى تكون له سندا في البحث أكثر والوصول إلى أبعد ما توصلنا إليه كما أوردنا مجمل المراجع التي اعتمدنا عليها في إنجاز هذا العمل .و لم نبتغ من هذا العمل إلا إبراز هذا النمط من العمارة و ما قد نكون قد حصلنا عليه لو استمرينا بالعمل به ، لربّما نحن اليوم في غنى عن الكثير مما نراه ضروريا و هو لا يعدو أن يكون عقبة صنعناها بأيدينا وأوهنا به أنفسنا فبتنا لا نرى له بديلا .

و في الختام لا يسعني إلا أن أتقدّم بالشكر الجزيل إلى اللجنة التي أشرفت على مناقشة هذا العمل ، و التي استفدنا من توجيهاتها كثيرا . إضافة إلى كل الأساتذة الذين ساهموا في مساعدتنا ولو من بعيد على إنجاز هذا العمل المتواضع .

و الله ولي التوفيق .

مختار عام

- أولاً : الإطار الجغرافي :
- 1- التضاريس.
 - 2- المناخ .
 - 3- التركيبة الاجتماعية .

- ثانيا : الإطار التاريخي :
- 1- المنطقة خلال العصر القديم .
 - 2- المنطقة خلال الفترة الإسلامية .
 - 3- مشونش أثناء الاحتلال الفرنسي .

- ثالثا : التعريف بصاحب الأثر (حياته ومآثره).

تقع ولاية بسكرة الى الجنوب الشرقي من العاصمة الجزائر ، و تبعد هذه الأخيرة بحوالي 400 كلم . يحدها من الشمال ولاية باتنة ومن الشمال الغربي المسيلة من الشمال الشرقي ولاية خنشلة ومن الجنوب الغربي ولاية الجلفة ومن الجنوب ولاية الوادي و ورقلة. أما فيما يخصّ واحة مشونش فهي تنام على أحد سفوح جبال الأوراس (1) . و تقع الى شمال شرق مدينة بسكرة . تعود تسمية هذه الواحة الى طبيعتها حيث يطلق عليها باللّجة المحلية اسم " أمسونين " وهي جمع "أمسون" و يعني البستان أو الجنّة وجمعها جنان وهي تسمية قريبة من الواقع خاصة وان هذه الواحة عبارة عن مجموعة من بساتين النّخيل المترامية على أطراف وادي الأبيض و التي تتميز بجمال فتّان(2) . إداريا واحة مشونش مصنفة في صف الدوائر ، تبعد عن مقر الولاية بحوالي 30 كلم الى الشمال، يحدها من الشمال دائرتي غسيرة وتكوت ومن الجنوب والغرب دائرة سيدي عقبة ومن الشرق دائرة كيمل ، أما فيما يخص الموقع الفلكي فهي تقع بين خطي طول 34.57° شمالا وخط عرض 6.00° شرقا .

1-التضاريس

تتموضع ولاية بسكرة على الجهة الجنوبية الغربية لسلسلة جبال الأوراس ، وتعتبر كل قرى ومدن ولاية بسكرة عبارة عن واحات . وهو نفس الحال لمنطقة مشونش التي تتميز بتضاريس جبليّة ، وهي تتوضع على جانبي الوادي الأبيض ، فالمنطقة الجبلية

- 1- سلسلة جبال الأوراس تقع الى الجنوب الشرقي من الجزائر، وتبلغ أعلى قمة بها 2326 متر متمثلة في جبل شيليا ، تتخللها العديد من الأودية أهمها الوادي الأبيض و وادي عبيدي .
- 2- وهناك من المؤرخين مثل Daussin يقول بأنه كانت هناك قرية تدعي منشون أو منشونة و قد حلت محلها مشونش الحالية ، فيما يقول أبو العرب التونسي بأن قرية منشون قد اندثرت وقد كانت إحدى قرى تهودة أما البكري فيرى بأن قرية منشونة قد اندثرت و لم يبق لها أثر و أرجعها الى حاضرة بسكرة و من أعلامها أبو عبد الملك المنشوني عالم بالسير والمغازي قال فيه أبو العرب " و حديثه يدل على ضعفه ما يحتاج لمعرفة حاله أكثر من روايته" وهذا لما كان يرويه من عجاب وغرائب عن الرسل بمستند ضعيف للمزيد انظر: ابو العرب طبقات علماء افريقية و تونس. الدار التونسية للنشر 1968. كذلك ابو عبد الله البكري . المغرب في ذكر بلاد افريقية . الجزائر 1987.

التي تحاذي وادي عبيدي كثنية بعلي تبلغ من الارتفاع 1725م وثنية اقلمام 1755م وجبل النوادر 1575م ، و رأس البقنون ، وكاف مدلس ، وجبل تفسوين 1776 م ، وجبل نارة 1463م وتنتهي بالجانب الآخر لجبل نارة عبر جبل الكرش 1422م . والمنطقة الثّانية هي مكملّة للأولى فهناك جبل أش عبد الله 1743م وجبل موجي الذي يطلّ على السّهل الصّغير الذي يحمل اسمه بمدخل مضيق تغيت سيدي بلخير ، رأس استولة ، رأس أش مايمين 1879م والجبل لزرق 1937م وجبل اش مراد 1344م ورأس شيشة 1261م ، حيث تبدأ من كتلة زلاطو قمة مستقيمة طويلة ، برأس تقشريت وتنتهي في الصّحراء بالشّمال الشرقي مقابل بسكرة أي المنطقة محور الحديث وتسمى السلسلة جبل زلاطو- رأس اللّوحة بين الوادي لبيض و وادي الهارة يسارا .

ومن الأودية المشهورة التي تمرّ بالمنطقة الوادي لبيض الذي يوفر حاجة سكان المنطقة من المياه الخاصة بالسّقي الى يومنا هذا و هو تقريبا دائم الجريان إلا انه يتناقص بصفة هامة في فصل الصّيف بسبب تلك الحواجز الذي يقومها الفلاحون لغرض سقي جنانهم ، بحيث يبتدئ هذا المجري المائي من سفح جبل شيليا من الجهة الغربية وينحدر تحت اسم وادي تيدرت والمسافة التي يقطعها من البداية الى قرية تاجرة تقع في تراب بني بوسليمان ، حيث يطلق عليه اسم كل منطقة يمر بها. على العموم فان المنطقة ذات طابع جبلي تتخللها وديان تعمل على سقي تلك الواحات المتواجدة هنا وهناك عبر ضفاف الوادي الأبيض و غيره .

2- المناخ (خريطة 6،5،7)

يعتبر المناخ من العوامل الرئيسية المساعدة على تأسيس المدن و القرى وكذلك في نموها وتطورها ، كما يتحكم المناخ في مكونات المدينة مثل الاتجاهات و الشوارع والأزقة وحتى في اختيار مواد البناء . يتميز مناخ المنطقة بعدة خصائص فرضتها العوامل الطبيعية وهي ارتفاع المنطقة ب 122 متر عن مستوى سطح البحر ، ووقوعها جنوب شرق البلاد و تباين المدى الحراري بين الليل والنهار ، حيث يسودها مناخ شبه جاف ذي شتاء بارد معتدل وجاف وصيف حار وجاف (1).

1- محمد الهادي لعروق. أطلس الجزائر والعالم . الجزائر . 2005 . ص 15.

عامل الحرارة يتأثر بعامل القرب و البعد عن البحر ، وبالطبيعة السهلية والجبلية التي تغير بشدة من خصائص التوزيع الحراري. حيث تتراوح بين 43° و 48° ، بينما يتميز فصل الشتاء بالاعتدال نسبيا ، وهذا ما جعل بعض السكان الموسرين يحاولون تقسيم سنتهم بين المكث في الصحراء، والإقامة في الجبال خلال موسم الحر. ويهب أحيانا ريح الشهيلى الجنوبي على هذه المنطقة متصاعدا مع أوديتها متجها نحو الشمال وقد يقضي هذا على الفلاحة الصيفية التي تصادف القحط وجفاف الأودية. وأما من حيث التساقط كونه يمثل المصدر الأساسي لتزويد كل أشكال الموارد المائية . فهي تتميز بالندرة و عدم الانتظام ، بحيث يسيطر الجفاف على مدار العام بحيث تتراوح ما بين 100 و 200 ملم سنويا . وذلك بسبب وقوعها في المنطقة فوق المدارية ، هذه الأمطار تتركز خصوصا من شهر سبتمبر الى غاية شهر ماي ، حيث تبلغ نسبة التساقط حوالي 86 % من المجموع السنوي المقدر ب 164 مم . أما خلال الأشهر الأخرى فتقل نسبة الأمطار و يقل انتظامها بحيث لا تتجاوز 14 % من مجموع التساقط السنوي. و الجدير بالذكر بأن سبب قلة الأمطار بهذه المنطقة يعود بالدرجة الأولى الى أن الرياح الغربية والشمالية المتسببة في هطول الأمطار غالبا ما تصطدم عند هبوبها الى شمال إفريقيا بسلسلة جبال الأطلس التلي ، حيث تفرغ جزءا كبيرا من حمولتها ، في حين تلك الأمطار الغزيرة التي تسقط على المنطقة والمناطق المجاورة وتحدث أحيانا فيضانات خاصة في فصل الربيع فهي أمطار إعصارية فجائية .

3 – التركيبة الاجتماعية

القبائل الامازيغية التي استوطنت الجزائر في الأزمنة الغابرة هي البتر والبرانس وكل منها تتكون من مجموعة من القبائل حيث سنحاول التركيز على تلك التي استوطنت منطقة الاوراس وسفوحها والمناطق المحاذية للصحراء . من المعروف أن قبيلة هوارة هي من بطن من بطون الأمازيغ البرانس تنسب إلى هوار بن أوريج بن برنس جدّ البرانس . وتتفرّع إلى عدة بطون أخرى مثل غريان و ورفا و سراتة و سلاتة و مجريس . ورغم اتفاق نسبة العرب و الأمازيغ في أنهم من هوارة إلا أن بعضهم يرى أنهم من عرب اليمن وينتسبون الى وائل بن حمير(1).

1- عبد الرحمن ابن خلدون :كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخير في أيام العرب و العجم والبربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر . الطبعة الثانية . مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر . بيروت 1959 . ج 3 - ص 147 .

ويذكر أن هوار بن أوريغ هو ابن خنون بن المثنى بن المسور ، وان هوار و صنهاجة و لمطة وكزولة وهكسورة يعرفون جميعهم ببني ينهل ، وان المسور هو جدّهم جميعا . وقد نزلوا على بني زحيك بن مادغيس الأبتري جد الأمازيغ البتر ، و لهوار بطون أخرى تنتشر في العديد من المناطق منها بنو نبه ، اوريغ ، بنو كهلان. ولا يستبعد أن تكون قبيلة مليلة بطن من بطونهم وكانت مواطن هوار إبان الفتح الإسلامي في نواحي مدينة طرابلس ، وبرقة و سرت ، ومنهم من ارتحل الى الجنوب الغربي ونزل قرب لمطة إحدى قبائل المثلثين فيما يلي بلاد كوكو من السودان ويعرفون بهكارة كما انتقلت هوار الى تاهرت واستوطنت احوازها . ففي عصر المؤرخ ابن صغير المالكي المعاصر للدولة الرستمية (160-296 هـ) ، كان لهم رؤساء يقال لهم الأوس ، ويعرفون ببني مسالة ، وعلى بعد عشرة أميال عن تاهرت يوجد واد يسمى وادي هوار كما تواجدت في جبل وانشر يس ولبدة وتجسين واجلو قرب وادي سوف والمسيلة وغيرها ، ويعود سبب نزوح قبائل هوار الى هذا الجبل بعدما كان موطنها الأصلي هو منطقة طرابلس وبرقة وسكنوا الجبال ونزلوا تلك السّفوح و ما حولها من المدن و القرى و ما أحاط بها من البلاد مثل باغاية و طينة و خنشلة ومنعة ونقاوس و بلزمة وتاموقادي الى حدود بسكرة و تهودة .

أما قبيلة جراوة الزناتية وهي القبيلة التي تنتسب إليها الكاهنة وهي متفرعة عن قبيلة زناتة و قد وفدت شعوب زناتة من طرابلس ، ويقول ابن خلدون " وكان موطن هذا الجيل من لدن جهة طرابلس الى جبل أوراس، و الزّاب إلى قبلة تلمسان ، ثم إلى وادي ملوية ، وكانت الكثرة و الرّئاسة فيهم قبل الإسلام لجراوة ثم لمغراوة و بني يفرن " (1). وكان موطن جراوة منهم بجبل الاوراس وهم ولد كراو بن أدريت بن جنا (زانا) وكانت رئاستهم للكاهنة. كانت هذه القبائل التي استوطنت هذه المناطق تعتمد في حياتها على الزراعة و تربية الماشية ، و عرف سكان الجبل بالشاوية نسبة للشاة (2) . ومن ناحية أخرى فان ابن خلدون يؤكد أن الكاهنة من قبيلة جراوة ، وان هذه الأخيرة هاجر البعض منها إلى جبل نفوسة بليبيا .

1- عبد الرحمان ابن خلدون . نفس المصدر. ج.7. ص. 97.
2- أبو عبيد الله البكري . المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب- تحقيق دوسلان ، الجزائر 1875. ص56.

حاليا يقطن بمنطقة مشونش و ما جاورها من القرى العديد من الأعراش بحيث يتوزعون في المنطقة على النحو التالي :

أسم القرية	موقعها	أسم القبائل
بانيان	على ضفتي الوادي	أولاد علي وبنو بوسليمان
مشونش	//	مختلط (اولادعلوي + بنويحمد + اولاد داود)
لحبال	//	//

جدول رقم 01: يبين أسماء القرى والقبائل القاطنة بها .

عند دخول فرنسا المنطقة سنة 1844 تم إحصاء سكان قرية مشونش و ما جاورها و الذي قدر عدده ب 1800 نسمة وفي إحصاء سنة 1926 بلغ عدد السّكان حوالي 1931 نسمة و خلال الاستقلال في سنة 1971 بلغ مجموع سكان المنطقة (مشونش+ تاجموت + لولاش) 7050 نسمة (1) .

ثانيا- الإطار التاريخي

ليس من السهل الإلمام بتاريخ المنطقة التي نحن بصدد دراستها ، خاصة و أن منطقة مشونش لم تعرف إجراء حفائر أو دراسات أثرية في الماضي القريب ، بل أنها تفتقر الى البحوث و الدراسات التاريخية التي تفيد الباحث في الموضوع هذا ، و لذلك اعتمدنا على تاريخ المنطقة ككل خاصة منه تاريخ مدينة بسكرة ، وهذا كون واحة مشونش جزء لا يتجزأ من تاريخ مدينة بسكرة و تهودة(2) .

1- **جمعية أول نوفمبر** . مجلة أضواء لأوراس . عدد تجريبي . دار الشهاب باتنة 1988 . ص45 .

2- قرية تهودة أو تاييدوس تبعد عن مدينة بسكرة حوالي 20 كلم ، شرقا و ب5 كلم عن مدينة سيدي عقبة شمالا ، و هي معروفة منذ القدم و قد صدر اسم المدينة في لائحة مؤتمر قرطاج سنة 411 م . الآثار المتبقية من المدينة العتيقة تتوزع على منطقة واسعة تمتد 01كلم و تتمثل في حجارة مصقولة ، بقايا حمامات ، و بقايا فسيفساء .وتعتبر محطة راحة للقوافل القادمة من والى الصحراء ، و قد كانت كذلك مركز متقدم للرومان و من بعدهم البيزنطيين ، و قد عرفت منطقة تهودة بالنسبة للمصادر الإسلامية كثيرا وذلك كونها المنطقة التي استشهد فيها سيدنا عقبة بن نافع و أبو مهاجر دينار و اللذان مازال ضريحهما الطاهرين هناك للمزيد انظر :

- **Guyon** .(s.n). Voyage d'Alger au Ziban. Paris1850. pp178-179

- **Renier**.(s.n) Archives des Mission. PARIS 1854. .TII. p452

1 – المنطقة خلال العصر القديم:(خريطة رقم8)

إن حضارة إنسان ما قبل التاريخ جُلّها نشأت حول جداول الأنهار والوديان(1) ، وان قمنا بالتخصيص كذلك فان الحضارات التي قامت بالمغرب كلها قامت على ضفاف الوديان مثل ذلك الحضارة القفصية و العاترية و عين الحنش قرب سطيف ، وتقريبا كل المواقع الأثرية التي تعود لفترة ما قبل التاريخ تحمل نفس خصائص الموقع ، وتفسير هذا يعود إلى أن إنسان تلك الحقب لم يكن قادرا عن الابتعاد على نقاط التزود بالمياه ، ضف إلى ما توفره من الغذاء كصيد الحيوانات التي تتردد على هذه النقاط ، وعندما نلقي نظرة فاحصة و مقارنة على فترة ما قبل التاريخ ، نلاحظ أن الصورة العامة أو السمات البارزة التي تبيّن المراحل التي قطعها البشرية خلال هذه الفترات من التاريخ ، حيث أنّ الدراسات التي قام بها علماء الباليونتولوجيا أوضحت المسار العام الذي مرت به الكائنات و فسرت مختلف الظواهر الطبيعية التي كانت وراء تشكيل وجه الأرض الحالي وكيف مهدت لمجيء البشر طبعاً بمساعدة علوم أخرى(2). لذا يصعب معرفة قدم الاستقرار البشري في كل شمال إفريقيا وكذلك مناطق من الصحراء الكبرى ، إلا بالاعتماد على الفرضيات حول علاقة الارتباط بين الحيوانات ونموّ الصناعات الحجرية ، ونظرا لانعدام رسوم طبقية أرضية كافية ، مساحة وعددا، يصعب إثبات تواصل الاستقرار البشري وديمومة تواجده في نفس المكان على امتداد فترات زمنية طويلة على نفس الموقع ، وقد كان في حضارة بلاد الرافدين والحضارة المصرية دليل كافي على استمرار تواجد المجتمعات البشرية على ضفاف الأودية إلى غاية يومنا ،هذا فنحن نرجح أن تكون منطقة وادي الأبيض عامرة منذ الأزل ولو أن نسبة تواجد الجنس البشري قليلة إلا أنها ليست منعدمة(3) .

1- **محمد سحنوني**- ما قبل التاريخ- جامعة الجزائر1992- ص 12.

2- **عبد العزيز بن الاحرش**. "تاريخ إفريقيا الشمالية" . مجلة سيرتا – العدد 12 - جامعة منتوري 1999. ص 15.

3- من المعروف أن الوديان والأنهار كانت مهد لكل الحضارات منذ عصور ما قبل التاريخ و وادي الأبيض لا يجف إلا نادرا في السنة نظرا لنسبة الثلوج التي تتهاطل على جبل شيليا فنحن نرجح استقرار العنصر البشري على ضفاف هذا الوادي خلال هذه الفترات ويبقى تأكيدها او نفيها متوقفا عن اكتشافات في هذا المجال .

إنّ تاريخ إفريقيا الشمالية كله ميزته خاصيتين لا يستطيع أي أحد أن يجهلها ، أولهما هو أن تاريخ هذه المنطقة يرجع الى أكثر من ثلاثين قرن و أن هذه المنطقة كانت مسرحا للحروب و الصّراعات في تاريخ دول البحر المتوسط ، و الثّانية هي الحضور البارز و الدائم لعنصر البربر عبر كل هذه القرون و فترات الاحتلال التي مرت بها المنطقة(1). بالنسبة للمؤرخين القدامى لم يكن الماسيليون سوى قبائل مجهولة الأصل ، و لم تظهر للعيان إلا منذ نهاية القرن الثّالث قبل الميلاد ، وهي الفترة التي اندلعت فيها الحروب البونية بين الرومان و القرطاجيين . كما أن المنطقة الماسيلية هي الأخرى صعبة التّحديد ومع ذلك يمكن القول أن مجالها الحيوي كان يشمل الجزائر الشّرقية و شمال غرب تونس(2) . وعلى ذلك فإن النّصوص القديمة التي تناولت الدّولة الماسيلية لا تتجاوز القرن 3 ق م ، سواء أكان ذلك بما ذكره المؤرخين القدماء أو ما جسده النّفوس البونية التي حملتها النّصب التي عثر عليها في مناطق متعددة من البلاد . لا سيما في مدينة سيرتا (قسنطينة) ، وكذا تلك الكتابات التي وردت مكتوبة على العملة وتنتمي إلى الملوك النّوميديين(3) . وجلّ الدّراسات خاصة تلك التي قام بها (Camps) تفيد بأن أقدم ملك ماسيلي عرف حتى الآن هو ايلماس و يذكر المؤرخ بوليب (Polip) إلى أن أجداد ماسينيسا كانوا قد حكموا الماسيل ، وهناك من المؤرخين المحدثين من يذهب بان ضريح (امدغاسن) الذي يعود إلى نهاية القرن 4 ق م يعتبر معلم نوميدي شيده ملك ماسيلي من الأسرة التي ينتمي إليها ماسينيسا فيما بعد . وعلى هذا الأساس يمكن القول أن الأسرة التي ينتمي إليها غايا وابنه ماسينيسا وأحفادهما كانت تحكم المنطقة منذ نهاية القرن الرابع وبداية القرن الثّالث قبل الميلاد ، غير أن معالم هذه المملكة لم تتضح إلا منذ القرن الثّالث ق.م ، حيث كانت تتوسّط الدّولة القرطاجية شرقا والقبائل المازيسيلية غربا و هذا يعني أن منطقة مشونش كانت تابعة لمملكة نوميديا الشّرقية وفي بداية الحرب البونية الثّانية (218م-202 م) كان حكم الملوك الماسيليين يشمل منطقة الاوراس وكامل الشّرق القسنطيني ، إضافة الى الظّهرة التّونسية وأجزاء كبيرة من سهل المجردة ، وكذا المنطقة

- Courtois (Ch) : «De Rome à L'Islam » . *Revue Africaine* .t xxxvi. Alger.1.2.tri.1942 .p27. -1

-2 عبد العزيز بن لحرش . نفس المرجع - ص19.

- CAMPS. (G) : ORIGINEDU ROMAUNE MASSYLE. REVUE D'HISTOIRE ET DE CIVILISATION DU MAGHREB . ALGER .1967 .P P 29-38 . -3

الاستبسية التي تحاذي السّرت الصّغير و تفصله تقريبا ، وبعبارة أصح يمكن القول أن الدّولة الماسيلية في هذه الفترة شملت المناطق الخصبة نسبيا ، حيث نشأت فيها قرى ومدن(1)، ثم تطوّرت بكل مؤهلاتها الطّبيعية ، إضافة إلى محاذاتها للمدن القرطاجية التي ساعدتها على النّمو والتّطور ومنحتها تقنية الزّراعة والتنّظيم السّياسي والإداري(2). وخلال الفترة الممتدة من 146

ق م إلى 46 ق م كانت فترة مليئة بالصراعات والحروب بين الرومان والثائرين البربر خاصة منهم يوغرطة ولم يكن لروما السيطرة الواضحة إلا بعد قرن من الزمان حيث أسست ما يعرف بإفريقيا الجديدة (Africa Nova) ، رغم ذلك ظلت الحالة السائدة حالة ثورات كثورة تاكفاريناس (17-24) ق م ، وقد كانت أفريقيا نوحا تعيش حياة فوضى وحروب وتقتيل. أما بالنسبة الى استقرار الرومان بهذه المنطقة فهو غير ثابت لانعدام الأدلة المادية المؤكدة (3). إلا أن وجود تلك المراكز العسكرية التابعة لليماس مثل فيسيرا أو تابدوس (4) ، و التي استقرا بها الرومان تعتبر دليلا على أن الرومان ربما لم يستوطنوا منطقة مشونش بقدر ما تدل على أنهم عرفوها وتعاملوا مع أهلها وهذا ما تؤكد بقايا مساكن تخص السكان المحليين على طول جبل احمر خدو و وادي لحبال (5)، و جابوها أثناء الحملات المتكررة التي كانوا يشنونها على المناطق الصحراوية انطلاقا من لومبار خاصة ، و قد كان هناك طريقين احدهما يمر على عين التوتة فالقنطرة وبسكرة والآخر فهو طريق جبلي يمر على منعة و تكوت ثم مشونش بسكرة (6).

-1 -LE COMMANDANT GUENIN ; INVENTAIRE ARDEAL DU CERCLE DE TEBESSA ARCHIVES DES MISSIONS.1908.PP128.

-2 - CARTON (C)- CLIMATOLOGIE ET AGRICULTURE DE L'AFRIQUE ENCIENNE DANS BULLETIN DE L'ACCADEMIE D'HIPOPONE XXII .1894. PP 1-45

3-تعد منطقة مشونش محطة عبور ضرورية للاتجاه عبر الجبال وهذا لاختصار الطريق الى مدينة أريس ومنها الى لومبار التي يتواجد بها المقر العام للفرقة الثالثة الأغسطسية و تيمقاد أو تاموقادي كما كانت تسمى في العهد الروماني. و بما أن مدينتي فيسيرا ، وكذا تابدوس أهلتين بالسكان فبالضرورة تكون منطقة مشونش معروفة لأصحاب هذه المدن

-4 - Des pois (J) : La Bordure Saharienne de l'Algérie Orientale.R.A.Alger.1942.3/4tri.p 208.

-5 - Gsell.(S). Atlas Archéologique de l'Algerie.Alger.1997. T1.2° édition. F N°38 .

-6 -Capitaine Lehuraux : Le Sahara et ses Oasis . Paris 1925. pp 16-17.

و كان الغرض من ذلك إخماد ثورات الأهالي الموجودين بالمناطق الداخلية و تأمين طرق القوافل و مراقبتها، وكذا السيطرة على تجارة الصحراء و استغلال خيراتها من جهة أخرى (1). و قد كان التمر من المواد التي كانت تجلب من المناطق الصحراوية وواحة مشونش إحدى هذه المناطق، وقد كان هذا المنتج خاضع للضرائب خلال القرن 2م (2) . والجدير بالذكر أن هدف الرومان مع سكان المناطق الصحراوية هو تجنب الصراع و توفير الأمن لمستعمراتهم المحاذية خاصة تازولت و تيمقاد و هو ما يتضح من خلال حرصهم من خلال إقامة تلك الحاميات العسكرية على طول الشريط الممتد من بسكرة مرورا بالدوسن و مسعد ثم شلف وتلمسان (3) . و عليه فان الرومان لم يعبئوا تماما بسكان تلك المناطق إلا لهدفين هما إيقاف الحملات المتكررة ضدهم و السيطرة على الطرق التجارية لفرض الضرائب (4) . وكخلاصة نجد أن الدارسين للتاريخ لم يتجاوزوا في غالبيتهم القرن الرابع الميلادي على أساس أن الفترة الممتدة بين الاحتلال الوندالي والفتوحات الإسلامية هي فترة مظلمة ، بينما انطلق دارسوا التاريخ الإسلامي من فترة الفتوحات معتمدين بالدرجة الأولى عن المصادر الإسلامية والأدبية وكأن بلاد المغرب قد بدأت حياة جديدة لا علاقة لها بماضيها (5) .

2- المنطقة خلال الفتوحات الإسلامية: (9،10)

لقد كانت القبائل الزناتية من بين القبائل البربرية التي أعلنت إسلامها منذ الفتح الإسلامي ، و تتحدث المصادر في هذا الإطار على أن القائد عقبة بن نافع ، أثناء عودته الى المغرب للمرة الثانية (62-64هـ/681-683م) توجه الى بلاد المغرب الأوسط ففتح تيهرت و

غيرها ، ثم توغل في بلاد المغرب الأقصى ، وكرّر راجعا إلى عاصمته بالقيروان لكنه قبل دخولها عرج على مدينة تهوده حيث استشهد رفقة ثلة من الجند من بينهم

-1 **SALAMA (P)**: Quelques incursions dans la zone occidentale du Limes de Numidie dans l'armée romaine . L'armée romaine d'Afrique et de la III légion d'Auguste .Actes de la table ronde organisée le 12 et 13/09/1989 à Lourmarin . Extrait d'Antiquités africaine .

-2 **Leschi (L)** : Rome et les Nomades du Sahara .Travaux de l'Institut de Recherche sahariennes. t1 p60

3- **شنيتي محمد البشير** . الاحتلال الروماني للمغرب (سياسة الرّومنة .146ق م/40م). الشركة الوطنية للكتاب . الجزائر 1985.ص 92

4- **Picard (G.CH)**.Civilisation de l'Afrique romaine . Paris. 1960.p

5- مجلة سيرتا – نفس المرجع – ص 27 .

الصّحابي أبو مهاجر دينار على اثر كمين نصبه كسيله قائد القبائل البربرية ارتدت عن الدّين الإسلامي(1). بعد ذلك خضعت المنطقة مدة خمس سنوات كاملة تحت سلطة أمير البربر كسيله و جعل من القيروان مقرا له الى غاية سنة (70هـ/689م) أين تمّ القضاء عليه من طرف زهير بن قيس البلوي في واقعة ممس جنوب القيروان . بعد وفاة زهير ببرقة سنة(71هـ/690م) سار حسان ابن النّعمان إلى بلاد المغرب فأنتصر على الرّوم بقرطاجة سنة (76هـ/695م) و توجه الى الجزائر الحالية فقابلته مقاومة شديدة من البربر تحت لواء ملكتهم الكاهنة(2) ، فهزم في بادئ الأمر بواقعة مسكيانة الواقعة بولاية أم اليواقي الحالية ، فأرتد عن افريقية وكان هذا سنة (77هـ/696م) ، ومكث ثلاث سنوات ببرقة وبنى بها قصورا سميت بقصور حسان ، و شرعت الكاهنة خلال هذه الفترة بعدما ملكت جلّ بلاد المغرب في عملية تخريب و حرق لكل ما قد يستفيد منه العرب ظنا منها أنهم طالبي كنوزا و جوائز ، فعاد عليها هذا الأمر بالبغض و النّفور من أهلها ، مما خلق جوا من الفتنة و البلبلة وانقسام الصّفوف في مجتمع البربر فسار حسان مرة ثانية الى معقل الكاهنة فلما اقترب من

1- يدعى كسيلة بن لمزم ، كان أميرا على البرانس كلهم اسلم أول الفتح ثم ارتد عند ولاية أبي مهاجر دينار و اجتمع اليه البرانس و زحف إليهم ابو مهاجر حتى نزل عيون تلمسان فهزمهم و طفر بكسيلة و استبقاه ثم جاء سيدنا عقبة فنكبه غيضا على صحابته أبي مهاجر ، ثم استفتح حصون الفرنجة و قفل من السوس راجعا و كسيلة أسيرا لديه سرح العساكر الى القيروان و بقي في خفة من الجند فتراسل كسيلة مع أهله و استطاع أن يقنع بعض من القبائل و يجمعهم حوله و نصب كميناً بمنطقة تهودة عندما سمع عن تعريج القائد عقبة ابن نافع باتجاه منطقة الزاب و قد كان برفقة الصحابي أبو مهاجر دينار بالمنطقة المذكورة التي لا تبعد كثيرا عن منطقة مشونش و قد استشهدا معا رفقة مرافقيه(سنة 64 هـ/683م) ولا يزال ضريحا الصحابين موجودين الى يومنا هذا حيث نشأت مدينة حولهما أخذت اسم الصحابي الجليل سيدي عقبة وهي تبعد عن مدينة بسكرة بحوالي 19 كلم . وملك من بعد ذلك كسيلة مدة 05 سنوات استولى فيها على القيروان و تم القضاء عليه على يد زهير بن قيس البلوي سنة 70هـ/689م في واقعة ممس جنوب القيروان . للمزيد انظر ابن خلدون. نفس المرجع.ج.6.ص 146 كذلك عبد الرحمان بن محمد الجيلالي : نفس المرجع .ج.1.ص146. ، حيث تمكن من الفرار ، .

2- الكاهنة ملكة من ملوك البربر اسمها دهبيا بنت تابنت بن تيفان ، كانت زوجا لرجل من رؤساء قبيلة جراوة احدى قبائل البتر المقيمة بجبل اوراس ، و تقيم بعاصمتها قبيل الفتح بتيسدروسن الواقعة قرب خنشلة ، لها ولدان احدهما من اب بربري والثاني من اب يوناني ، وقد كانت تدعي الإطلاع على أحوال الغيب او التكهن فلقيت بالكاهنة ، تملكّت مدة 25 سنة و عاشت 127 سنة هزمت حسان بن النعمان وأسرت طائفة من جنده وتبنت احدهم يقال له خالد بت يزيد القيسي الذي استأمنته على اولادها بعد موتها .قتلت على يد حسان ابن النعمان سنة 82هـ. للمزيد راجع ابن العذارى (المراكشي): البيان.المغرب في أخبار الأندلس.ج1.دار الثقافة .بيروت 1980.ص21.ابن خلدون . نفس المصدر.ج.6.صص 147-150. كذلك عبد الرحمان محمد بن الجيلالي: نفس المرجع.ص 148.

حدود بلادها لقيّه جمع من أهلها يستغيثون به ضدها فقدموا إليه الطّاعة و الولاء . ولمّا تحققت من هزيمتها سارت ملكة البربر إلى جبل الأوراس فوقعت معركة بين الجيشين انتصر فيها

حسان وقتل الكاهنة في موضع يدعى بئر الكاهنة بجبال أوراس ، حيث فرغ من أمرها في رمضان سنة (82هـ/701م)، فاستأن إلى البربر و حسن إسلامهم . وهناك من يرجع إقامة البربر في الجبال الى فترة حكم الكاهنة لما قامت بحرق و تخريب المدائن والفرار الى الجبال للتحصن بها هروبا من الفاتحين ، ولم يكن لهم أن يستقروا بأماكن خالية من موارد العيش خاصة المياه ، فكانت الوديان التي تتخلل الجبال مناطق منيعة لهم فقطنوا بها كما هو الحال بوادي الأبيض و وادي عبدي . والجدير بالذكر أن منطقة الأوراس بما فيها مشونش كانت أهلة بالسكان في ذلك الوقت ، حيث اعتنق سكان هذه القرى كغيرهم من قبائل البربر الإسلام بعد الفتح وأيدته وناصرته ، فكانوا عدة العرب في رحلتهم و طليعة جندهم و أعانوه في دحض شوكة الرومان(1).

و خلال الخلافة الأموية كان يولى على افريقية أمراء أمويون استبدوا في حكمهم و خلقت إدارتهم نوعا من التفرقة بين البربر والعرب فقامت ثلة من ذوي الشأن من البربر وكان من بينهم ميسرة السبعا بالتنقل الى عاصمة الخلافة بدمشق و هذا في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك فلم يعرهم اهتماما، فولوا إلى بلادهم و قد كان حاكم افريقية في ذلك الوقت هو عبد الله بن الحجاب الموصللي الذي تولى إمارة افريقية من ربيع الثاني/ماي سنة (116هـ/735م) الى غاية سنة (123هـ/742م) ، فأحدثوا ثورة سنة (122هـ/741م) على نظام الإدارة المتبع في ذلك الوقت وكانت بذلك أول ثورة بربرية طالبوا فيها بالمساواة مع المسلمين . وفي منتصف القرن الثامن الميلادي تولى العباسيون الحكم خلفا للأمويين ، حيث ساد الهدوء على المنطقة مدة طويلة من الزمن تطوّر فيها مجتمع البربر كما وكيفا . هذا الاستقرار وُلد مع الوقت نزعة استقلالية عن الخلافة الإسلامية فظهرت هناك دويلات بعد ضعف سلطتها . حيث ظهرت الدولة الرستمية سنة (160هـ/776م) على يد القاضي عبد الرحمان ابن رستم الذي جعل من تاهرت عاصمة له وامتدت أطراف إمارته الى جميع التراب الجزائري ما عدا ناحية الزاب شرقا وتلمسان غربا(2) .

- 1- مقلد الغنيمي (عبد الفتاح). موسوعة المغرب العربي، ج1، مكتبة مدبولي ، القاهرة 1994 ، ص 183 .
- 2- محمد بن عبد الرحمان الجيلالي : تاريخ الجزائر العام . ديوان المطبوعات الجامعية . 1995 . ج 1 . ص 167 .

واستمرت حكم هذه الدولة الى غاية(296هـ/909م)، ضف الى دولة الأدارسة التي ظهرت سنة (172هـ/788م) و استمرت الى غاية (311هـ/923م) و شملت شمال شرق وهران ونهر شلف وجنوبا سهول غريس بناحية معسكر الى جبال مديونة قبلي فاس و امتدت الى الحضنة جنوب قسنطينة ولم تصل الى منطقة الزاب. نشير بأنه خلال هذه الفترة كانت منطقة الزاب بما فيها مشونش تحوز على شبه استقلال و كان النظام القبلي هو المسيطر يخضع الى والي افريقية . وقد كانت ولاية إفريقية(1) في أواخر القرن الثاني الهجري تحت إمرة محمد بن مقاتل العكي و هو رضع هارون الرشيد، فكان مستبدا في حكمه فثار عليه الناس سنة (183هـ/799م) فصدر أمر الخليفة هارون الرشيد في جمادى الثانية (184هـ/800م) سنة بخلعه وتعيين إبراهيم بن الأغلب واليا على افريقية ، الذي تولاهما وجعلها وراثية و منح شبه استقلال داخلي ، وكان المغزى من ذلك هو تمكين المغرب من الدفاع عن حوزة الخلافة أمام الدولتين الناشئتين العلوية و الادريسية القائمة بالمغرب الأقصى والأموية بالأندلس ، و بعد استقلال الأغلبية بتونس عن الخلافة العباسية ، أصبحت بسكرة وما جاورها من قرى الزاب مقاطعة تابعة للدولة الأغلبية ، فقد كان يحكم بسكرة آنذاك الأغلب بن سالم الذي كان يطلق على واحات بسكرة اسم افريقية(2) ، و استمرت المنطقة تحت لواء الأغلبية الى غاية (296هـ/909م) ، و قد وقع خلال هذه الفترة

اضطرابات بإقليم الزّاب و يرجع ذلك الى نفور الشّعب من سوء معاملة السّلطة فقام إبراهيم بن احمد بن الأغلب سنة (268هـ/881م) بالقتل والتّشريد لأهل الزّاب و قام كذلك أبو العباس بن إبراهيم سنة (286هـ/899م) بالإيقاع ببني بلطيط ببسكرة وقاتلهم وشردهم في البلاد ، و ظلت هذه الحالة سائدة الى سنة (319هـ/931م) أين استولى محمد بن خزر الزّناتي على منطقة الزّاب ، وبعد أن قضى الفاطميون على الدّولة الرّستمية بالجزائر ثم الأغلبية بتونس دخلت

1- كان المغرب العربي منذ الفتح العرب الى زمن انتصاب دولة الأغلبية مقسما الى خمسة مناطق : طرابلس ونواحيها الى حدود برقة ، و قسيطة وهي بلاد الجريد اليوم وعاصمتها توزر ، وتونس وما حولها من شمال القطر التونسي ، و بلاد السوس او المغرب الاقصى و عاصمته طنجة و خامسا الزاب الجزائري و قاعهته طنبة شرق شط البحضنة- على بعد 3 اميال جنوب بريكة و نارة بسكرة للمزيد راجع محمد بن عبد الرحمان الجليلي : نفس المرجع ص 196 و اليعقوبي (محمد بن ابي عقوب): كتاب البلدان . مطبعة بريل . ليدن 1891 .

2-ناصر طراي : تاريخ بسكرة عاصمة الزيبان . نشرة من إعداد نادي التاريخ و الآثار ، خلية الاعلام والاتصال لولاية بسكرة 2006. ص 06

بسكرة وزابها الى حاضرة الدّولة الفاطمية وظلّت تحت حكمهم من سنة (296هـ الى 362هـ) . و قد جرت خلال هذه الفترة أحداثا وثورات كبيرة مناهضة للشّيعية بالجزائر ، و لعلّ حادثة مقتل عامل أوراس أبو المعلوم فلحون الكتامي بسبب مغالاته على رعيته و إتهال كاهلها بالمكوس و الضرائب انقضت عليه قبائل البربر التي تقطن الجبال وقتلته و من معه سنة (310هـ/922م)، وهي من أهم الحوادث في تلك الفترة ، و ظلت حالة الحروب تسود المنطقة بين قبائل البربر من زناتة و الشّيعية من جهة أخرى مدة خمسين عاما ، وانهزم يوم إذن حزب الشّيعية بتاريخ الجمعة 30 شعبان سنة 312هـ الموافق ل(19-01-925م) و فيها قتل مصالة ابن حبوس (1) ، بعدها تمكنت عائلة بني رومان البسكريين من تولي زمام الأمور في إمارة الزاب (2) وهي العائلة التي قال فيها ابن خلدون " كانوا يحكمون بسكرة وعامة ضياعها " (3) و كان الحكم متوارثا فيها إلا أنها كانت تحت رعاية و نفوذ الحمادين . و تذكر المراجع بان القبائل المستقرة هناك كانت من الأوائل المناصرين ليزيد مخلد بن كيداد الملقب بصاحب الحمار و هو من أهل أوراس و ذلك عندما عبر المنطقة الواقعة بين ورقلة و الأوراس سنة (325هـ/935م) (4). والتي لم تدم طويلا بعد هزيمته من طرف الفاطميين سنة (336هـ/947م) (5) بمنطقة المعاضيد بالحضنة، و استمرت ثورته بعد مقتله بقيادة أبنائه الفضل و أيوب و يزيد و الذين لقوا حتفهم الواحد تلو الآخر و قضى على

- 1- عبد الرحمان بن محمد الجليلي : نفس المرجع ، ج 1 ، ص 219.
- 2- كانت إمارة الزّاب في تلك الفترة من (564هـ/1362م) الى (804هـ/1402م) تحت حكم بني رومان البسكريين ، و هي من أغنى إمارات الجزائر وأضخمها لذلك العهد و تمتد حدودها من المسيلة وناقوس شمالا الى ورقلة و وادي ريغ جنوبا ، و من الدوسن غربا الى بادس شرقا . و استمر حكم هذه الأسرة قرنا و أربعين من السنين . للمزيد انظر - ابن خلدون . نفس المرجع . ج 6. ص 405. كذلك انظر عبد الرحمان بن محمد الجليلي. تاريخ الجزائر العام. الجزائر 1995. ج 2. ص 56-57.
- 3- عبد الرحمان بن خلدون . نفس المرجع . ج 6 . ص 174.
- 4- ابن الأثير . الكامل في التاريخ . مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقماق. المجلد 7. دار الكتب العلمية. بيروت. 1987. ص ص 188-201 .
- 5- ابن حماد . أخبار بني عبيد وسيرتهم . مطبعة جول كوبونال . الجزائر . 1927 ص 30.

ثورتهم نهائيا من قبل بلكين بن الزيري الصنهاجي سنة (341هـ/952م) سنة . و بعد مقتل بلكين بن محمد بن حماد اعتلاهم التّطاول على النّاصر بن علناس فخرجوا عن طاعته فقاتلهم واسر رؤسائهم و أميرهم جعفر سنة (450هـ/1058م) و حملهم معه إلى القلعة وصلبهم . و منذ ذلك الوقت باتت ولاية بسكرة تحت سلطة أسرة عروس من بني سندي و بقيت هذه الأمانة فيهم إلى سقوط الدّولة الحمادية (547هـ/1153م). و قد كان ينازعهم فيها شيوخ العرب من بني مزني حتى عهد أبي إسحاق إبراهيم الأول فجعل الأمانة للفضل بن علي بن احمد بن الحسن بن علي بن مزني سنة (687هـ/1279م) و دام حكمهم للمنطقة الى غاية يوم (17 جمادى الثانية 804هـ/ 22 جانفي 1402 م) ، و هو تاريخ الاستيلاء على مدينة بسكرة حاضرة الإمارة من طرف السّلطان أبو فارس عزوز الحفصي(1) . و في ذلك الوقت لم يظهر للهلالين اثر في الجزائر إلى أن حالف الملك النّاصر قبيلة الأتّيج الهلالية سنة(57هـ/1065م) و خرج بهم لامتلاك تونس فتحالف الهلاليون مع قومهم من رياح وزغبة و زناتة كذلك على الناصر فهزموه وقتلوا من تابعيه قوما كثيرا بموقعة فحص سببية غربي القيروان فنقهر الى قسنطينة هربا فتبعه الهلاليون و استولوا عليها و على القلعة والمسيلة و طبنة و عاثوا في الأرض فسادا . و دخلوا تبسة وانتشروا جنوب الأوراس و في قرى الزاب و استوطنوا فيها بكثرة . كما نشير بأنه خلال الحكم الفاطمي لم يتمكن ولاية المنطقة من السيطرة على مواطن البربر الأصلية و قد باتت المنطقة محل ثورات وانتفاضات متكررة . و قد تركت القوّة والمناصرة التي أظهرها زيري بن مناد للخليفة الفاطمي المنصور في إخماد ثورة أبي يزيد(2) أثرا عظيما .

1- عبد الرحمان بن محمد الجليلي: تاريخ الجزائر العام. الجزائر 1995. ج.2. ص 57.

2- هو أبو يزيد مخلد بن قياد النكاري ينتمي الى قبيلة وروية وهي فخذ من قبيلة يفرن من زناتة البربرية التي كانت مستقرة في الجنوب الغربي من الجزائر الحالية . و لد سنة 270هـ/883م بالسودان. درس وتفقه بالدين بتوزور موطن والده انفصل عن المذهب الاباضي و تنكر له وكفرهم وأباح دمانهم ، وهو يدين بمذهب الخوارج ، قاد ثورة عارمة على الفاطميين بالمهدية و القيروان ، الى أن وقع أسيرا بأيدي الزيري بن مناد و قتل سنة 336هـ/947م على يد المنصور الفاطمي و قد استمرت ثورته خمس سنوات و كادت إن تقضي على الدولة الفاطمية الناشئة .

وبعدما انتقل المعزّ الفاطمي الى مصر و استقرّ بالقاهرة كلف بلكين(1) بكامل شؤون المغرب و بذلك كانت منطقة بسكرة وما جاورها كلّها تابعة له و بقيت على هذا الحال الى غاية(524هـ/1130م) ، حيث باتت المنطقة تحت حكم الموحيدين (2). الذين برزوا خلال القرن 12 م و تمكنوا من القضاء على المرابطين بالمغرب الأقصى و الحماديين بالجزائر و الزيريين الصنهاجيين بتونس ، و وحدوا بلاد المغرب قاطبة لأول مرة في التّاريخ تحت راية عبد المؤمن بن علي الندرومي و بن تومرت و قد دخلت بسكرة تحت حكمهم ، و بعد معركة حصن العقاب بالأندلس سنة 1212م سقطت دولة الموحيدين نهائيا بتاريخ 667هـ/1269م ، فانقسمت بذلك بلاد المغرب الى ثلاث(3)، دويلات و قد كانت دولة الحفصيين اسبق الدّول الثلاث التي ظهرت و أوسعها انتشارا . حيث قامت رسميا سنة(627هـ/ 1237م) . استمرت بعد ذلك المنطقة تحت لواء الحفصيين، و قد امتدت رقعت دولتهم الى غاية الشّرق الجزائري والى شمال الصحراء و ظل الحال حتى وفاة أبو الحسن عثمان حاكم تونس سنة (878هـ/ 1488 م) (4). و في هذه الفترة باتت إمارة الزّاب غير مستقرة فمرت تحت

1- بلكين هو ابن الزيري بن مناد الصنهاجي الأصل قبيلته ملكت المغرب الأوسط و الشرقي خلال القرن الرابع و السادس هجري كان بجانب ابيه في الحروب الذي خاضها لمساندة الفاطميين و قد شيد العديد من المدن التي ما تزال الى يومنا هذا كالجزائر المدية و مليانة و قد قبض مملكته بيد من حديد خاصة منطقة الزاب أين قتل أباه . و قد كلفه المعز الفاطمي بولاية المغرب ولقبه بأبي الفتوح يوسف وكان ذلك سنة 361هـ/979م ، وقد نازع الأمويين بالمغرب و أصبح ملكه يمتد من طرابلس الى فاس و لعله أول ملك استطاع أن يوحد المغرب و قد أدركته المنية بين سجلماسة و تلمسان حيث توفي سنة 373هـ/984م.

2- زهير احد ادن . شخصيات و مواقف تاريخية . الجزائر 2002. ص ص 48-68.

3- الدول الثلاث هم الحفصيين والتي ظهرت في تونس و قد اتسع نفوذها فقامت من طرابلس الى طنجة و انتهى أمرها عندما وضعت نفسها تحت حماية الأسبان ، الدولة الثانية التي ظهرت بالمغرب هي دولة بني عبد الواد وهذا خلال منتصف القرن الثالث عشر و اتخذت من مدينة تلمسان حاضرة لها و كانت رقعتها تمتد على الجزء الغربي مما يقابل الجزائر أما في المغرب فقد عاصرت هاتين الدولتين دولة بني مرين التي ينتمي أصحابها الى قبيلة زناته البربرية و قد بدأ ظهورهم جنوب مراكش في بداية القرن 13 م ثم توسعوا الى أن استولوا على مراكش سنة 1269م.

Jean Leon L'Africain . Description de l' Afrique . Paris 1981. pp 439-440 -4

لواء الحفصيين و مرة إلى الزيانيين و أخرى إلى المرينيين و مرة أخرى إمارة مستقلة تحت سلطة عائلة بني مزني و قد تمكنت من الانفصال عن الدولة الحفصية نهائيا عام 1511 م . و استطاعت أن تحتفظ على استقلالها حتى استولى عليها حسن أغا سنة 1541 وجعل فيها حامية تركية تنظم شؤونها. عند دخول الأتراك في القرن السادس عشر الى الجزائر قاموا بتقسيمها الى ثلاث مقاطعات أو كما كان يطلق عليها اسم البايك ، و كان إقليم قسنطينة هو اكبر المقاطعات يليها إقليم وهران و إقليم التيطري الذي كانت عاصمته المدية ، و كانت منطقة مشونش تابعة لبايك قسنطينة ، فقط نشير بأنه خلال الحكم العثماني لم تكن هناك سيطرة فعلية على المناطق الجبلية و الصحراوية بل كان الحكم القبلي هو السائد و كان حكام هذه القبائل يولون الولاء لحاكم المنطقة . وبذلك فقد كانت قبائل مشونش تتبع حاكم بسكرة مثلها مثل القبائل القاطنة على محيط المدينة . و على اختلاف الإمارات الإسلامية التي تعاقبت على الشرق الجزائري فقد كانوا سواسية مثلهم مثل باقي الرعية تطبيقا للشريعة الإسلامية ، فقد حفظت أراضيهم و ممتلكاتهم و هذا ما ترك المجتمع البربري يتطور كما وكيفا ، مما مكّن سكان هذه المناطق من الحفاظ على لهجاتهم المحلية و تقاليدهم التي تهجنت بالطابع الإسلامي ، و قد بدأ تأثير هذه الحضارة واضحا وجليا على السكان المحليين في كافة ميادين الدنيا و الدين ، فهذه الحضارة كان لها الأثر العميق في تنظيم المجتمع البربري و الانتفاع به و الانتفاع بها حيث جاء عن المؤرخ فون جوت سميث قوله: " إن الإقبال الهام على اعتناق دين جديد على اثر فتح أجنبي ، أمر لا يكاد يعرفه العصر القديم ، ولكن الإسلام يقف وحيدا في هذا الفوز .. " (1). و يقول كذلك الأديب هانري شامبوت " لو لا انتصار جيش شارل مارتل الهمجي على تقدم العرب في فرنسا لما وقعت فرنسا في ظلمات القرون الوسطى و لما أصيبت بفظانها ... و لو لا ذلك لما تأخر سير المدنية ثمانية قرون." (2). ولنا أن نحكم عن الفضل الذي قدّمه الإسلام للمناطق التي حلّ بها .

1- عبد الرحمان محمد بن الجبالي .: نفس المصدر . ص 149.

2- يقصد الأديب هانري شامبوت وقعة بواتي بأرص فرنسا و هي الواقعة المشهورة ببلاط الشهداء و التي وقعت بين جيش المسلمين بقيادة عبد الرحمان الغافقي و جيش بلاد الغال بقيادة شارل مارتل وهذا سنة 114هـ/732م.

3 - مشونش أثناء الاحتلال الفرنسي:

بعد دخول المستعمر الفرنسي الى الجزائر سنة 1830 ، و بعد الاستيلاء على قسنطينة عاصمة بايلك الشرق عام 1837 كان لابد من إخضاع واحتلال القسم الجنوبي الشرقي من عمالة قسنطينة ومن ضمنه منطقة الاوراس(1) ، والذي اعتصم به احمد باي (2)، وخليفة الأمير عبد القادر محمد الصغير عبد الرحمن بن احمد بلحاج ومن تبعهما من المقاومين للاحتلال ، حيث بعد احتلال مدينة بسكرة في 4 مارس 1844 وتمركز القوات الفرنسية بها ، بلغها إن مقاتلي الاوراس يعدون العدة لمهاجمتها ، حيث في 15- مارس 1844 ، خرجت قوات من الحملة بقيادة الدوق دومال متوجهة إلى بوابة الاوراس الجنوبية قرية مشونش . التي تجمع فيها مقاتلين من مختلف القبائل بقيادة خليفة الأمير عبد القادر ، حيث دارت معركة حامية الوطيس استمرت نصف يوم أدت بتراجع العدو إلى بسكرة وقد ورد في تقرير احد الجنرالات بقوله " إنهم مرتبطون بأرضهم ومساكنهم و فلاحتهم ونخيلهم ، ولا يستطيعون التَّنقل والرَّحيل كقبائل الرَّحل ويدافعون درجة بدرجة فوق صخورهم ، ورجلا برجل على سطوح منازلهم الملتصقة ، تخالها وكأنها شرفات بعضها فوق بعض"(3) ، وبعد انهزام أحمد باي في 27-06-1879 طلب السَّكان الأمان وهكذا تمكَّن الاستعمار من كامل المنطقة .

تقرير هذا الجنرال بخصوص الحملة على قرية مشونش أوضح لنا أن سكان واحة مشونش هم مجتمع فلاحي يعتمد على هذه المهنة بالخصوص لتلبية متطلباته المعيشية ، ضف إلى أنهم قوم مستقرون وليسوا من البدو الرَّحل ، كما أن وصف سطوح منازلهم الملتصقة تفيد بالضرورة الى أن القرية كانت على شكل قلعة وربما تكون أطلالها تلك التي ما تزال قائمة في أعالي المدينة . و بسبب المرجع التَّاريخي للمنطقة كون أهلها يرفضون الاستعمار الفرنسي شأنه شأن الرُّومان وحتى العرب الفاتحين في بدايات الإسلام ، حيث

1- تطلق كلمة أوراس جغرافيا ، على المنطقة المحصورة بين باتنة و خنشلة شمالا و خنشلة و زربية الوادي شرقا ، و زربية الوادي و بسكرة جنوبا ، و باتنة غربا ، بحيث تشكل رباعيا بطول 100 كلم للضلع الواحد.

2- أحمد باي ، آخر بايات قسنطينة امتدت فترة حكمه من 1826م – 1837 م .

3- Guesoy. : L'Armée d'Afrique . p 213.

أصبحت محلَّ اهتمام العسكريين ، و ذلك ما يفسِّره الزَّيارة التي قام بها وزير الدَّاخلية الفرنسي فرونسوا متيرو(1) سنة 1957 ، و قد ضلَّت المنطقة تعجَّ بالتَّورات و أنجبت رجالا ضحوا بحياتهم من أجل هذا البلد من بينهم صاحب هذه الدَّار محل الدَّراسة وهو سي الحواس.

ثالثا- التَّعريف بصاحب الأثر:

و لد الشَّهيد احمد بن عبد الرزاق حمودة الملقب بسي الحواس بقرية مشونش سنة 1923 والده يدعى الشَّيخ عبد الرزاق بن محمد أمقران بن إبراهيم بن حمودة يعود نسبه الى قبيلة سيدي شعبان بطن من بطون بني بوسليمان التي تنحدر من منطقة تكوت ، وقد كان الوالد معلما وإماما لزَّاوية تتبع الطَّريقة الرَّحمانية بالقرب من المسكن العائلي وهي لا تزال قائمة الى يومنا هذا و تسمى بزَّاوية أولاد سيدي حمودة (2).

التحق سي الحواس في سنِّ العاشرة للتَّعلم بجامعة سيدي بركات بمشونش حيث حفظ ما تيسَّر من القرآن الكريم وتعلم مبادئ الكتابة و القراءة و قد دامت مدة تعلمه أربعة سنوات .

في عام 1937 توفي والد الشهيد و دُفن في مسكن العائلة إلى جانب أبيه وجدّه ، و قد بلغ الشهيد في ذلك الوقت من العمر 14 سنة ، حيث انقطع عن الدّراسة ، و بات عمه الهادي حمودة هو من يشرف عليه ، حيث قام بتزويجه سنة 1942 من إحدى قريباته وتدعى عائشة

1- ولد فرنسوا ميترُو في 26-10-1916 ب جغناك بفرنسا . متحصل على ليسانس الحقوق من جامعة باريس . تقلد منصب وزير داخلية فرنسا في جوان 1954 ، في 08-05-1988 عين كرئيس للجمهورية الفرنسية ، وتجددت عهده الرئاسية في 29-03-1993 ، ووافته المنية في 08-01-1996 بسبب مرض السرطان حيث دُفن الى جانب والديه بمسقط رأسه .
2- زاوية أولاد سيدي حمودة كانت تابعة للزاوية الرّحمانية التي أسسها الشّيخ سيدي الصادق بن الحاج بتبرماسين أو بما يعرف اليوم بسيدي مصمودي ، وتولاها أولاده من بعده إبراهيم ، الطاهر ، لزهَر ، و لها أتباع و مريدين في عموم الأوراس و الزيبان والصحراء .

حمودة و أنجب منها بنتا سماها يمينة و لم تدم الرّابطة الزّوجية بينهم أكثر من سنة حيث انفصلا وعاود الزّواج بأخرى تسمى يمينة أعراب رزق منها بأربعة أبناء وهم على التّوالي لويزة ، نزيهة ، عبد الرّزاق و شعبان (1).

كان الشّهيد قد ورث عن والده شجيرات قليلة من النّخيل لا تفي باحتياجاته دفعته الى امتهان التّجارة و قد تكفّل عمه سي الهادي بتعليمه هذه المهنة فأحسنها وبرع فيها ، فتاجر في مختلف المواد خاصة منها التّمر و الحبوب و القماش وكان يكثر من الأسفار حتى لُقّب بالحواس لكثرة تجواله.

إشراف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على التّوعية في المنطقة ، و حثهم على العلم و الجهاد و دفعتهم إلى بناء مسجد بها وهو ذلك الذي هو آيل للسّقوط وموجود بسوق المدينة و كل هذه التّيارات مكّنت للشّهيد من تكوين نزعة استقلالية ، خاصة بعد اطلاعه على جريدة البصائر و الصّحف العربيّة الأخرى التي كان المعلمون يحضرونها من الفترة الى الأخرى ويمكنوا تلاميذهم من الإطلاع عليها ، تحفيزا لهم على تعلّم اللّغة العربيّة و إحسانها وكذا إدراك ما يدور من أحداث في الجزائر والعالم خاصة و أن الصّحف هي الوسيلة الوحيدة المتاحة للإطلاع على الأوضاع خاصة وأن الله عز وجل إذا أراد بأمرئ

1- معلومات تحصلنا عليها بعد محادثة جمعت بيننا وبين سي الهادي حمودة عم الشّهيد سي الحواس وهذا بتاريخ 21-05-2008 من الساعة 08 إلى غاية الساعة منتصف النهار ، و سي الهادي هذا من مواليد 1914 بمشونش و بالضبط بالمسكن محل الدراسة ، ابن محمد أمقران و كرييع فاطمة ، و منذ وفاة أخيه مارس التجارة منذ سنة 1937 إلى غاية 1952 وهذا ببيع التّمور و الحبوب ثم توجه إلى فرنسا للعمل و هذا إلى غاية 1960 و كان يقيم بفندق مابيو رقم 18 سان ميشال ، المقاطعة الخامسة بباريس ، و بعد ذلك التاريخ عاد إلى أرض الوطن ممارسا النّضال و التّكوين كون من تابعي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، و لكن بسبب معاملات الاستعمار اضطر إلى السفر إلى منطقة حاسي مسعود و بعد الاستقلال عين على رأس البلدية و بقي هناك لمدة سنة كاملة ثم تم تحويله إلى مدينة الأغواط كمعلم للشّيبية والرياضة و بقي هناك ثلاث سنوات ثم تحول إلى مدينة وادي سوف و علم فيها إلى غاية 1968 ، ثم انتقل إلى مدينة القنطرة و بقي هناك سنة كاملة يشتغل في التعليم ثم منها إلى مدينة أريس فأتم فيها الحول و بعدها انتقل إلى مدينة سيدي عقبة و علم فيها سنتين ، و عاد إلى مدينة بسكرة سنة 1973 وعمل معلما هناك بمدرسة بن ومان إلى غاية أن تقاعد سنة 1981 . حيث بعدها استدعي للعمل كمراقب بمعهد تكوين الأئمة بسيدي عقبة سنة 1983 إلى غاية 1988 فتقاعد نهائيا . والحق قد استفدنا من هذا الرّجل كثيرا وقد سمح لنا الحديث معه

بتصحيح الكثير من الأحداث التي تحصلنا عليها من بعض الكتب و المجلات . و الشهادة لله أنه على الرغم من كبر سنه إلا انه ذو ذاكرة حادة ، يحسد عليها .

خيرا هياً له من الأسباب ما يساعده على الوصول إلى المبتغى . و قد استمر سي الحواس في المطالعة بعد انقطاعه على الدراسة خاصة وانه أصبح كثير التنقل عبر المدن الجزائرية للتجارة و أصبح بذلك من دون شعور إن يمتهن السياسة فأعتبر أول من أدخل الى قرية مشونش مطبوعات و جرائد و مناشير حزب الشعب وكان يوزعها سرّياً و باستمرار و يجمع الاشتراكات من المناضلين بمشونش . انخرط سنة 1943 بحزب الشعب ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي كان يقوم بالدعاية الى مرشحها آنذاك مما تركه متابعا من قبل السلطات الفرنسية حيث تم استنطاقه في العديد من المرات .

في ربيع عام 1947 م عمل أحمد بن عبد الرزاق ، على تنظيم لقاء سياسي بداره ، لغرض عرض فكرة الكفاح المسلح التي كانت لا تهضم إلا بعسر ، ولنموّ النضج السياسي لفئة من الشباب نظّم الاجتماع وقد حضره كل من الشهيد مصطفى بن بولعيد من مدينة أريس ، أحمد بودة من مدينة برج منايل ، محمد محفوظ من مدينة تبسة ، محمد عصامي من مدينة بسكرة ، محمد لمين دباغين من العاصمة ، محمد شريف قاسمي من قرية تفلال ، عبد الله بن حبيليس من مدينة سطيف(1). بعد هذا الاجتماع الذي كان الهدف منه تنظيم الكفاح السياسي وتكوين خلايا سرية سياسية في مختلف مناطق من الوطن. حيث قام الشهيد سنة 1948 بتكوين خلايا سرية سياسية تنشط في المنطقة من بين مناضليها إبراهيم زروال ، عمار بن عمروس قرقب ، إبراهيم جيماي ، عمار بن محمد شاهدي ، الصالح أعراب ، لخضر بن لعلى قطوشي ، علي بن الحاج بن جديدي ، احمد عبدلي ، الحسين عبد السلام و محمد بن المسعود بلقاسمي كلهم قضوا نحبهم في ميدان الشرف .

1- محمد العيد مطمر . حامي الصحراء احمد بن عبد الرزاق حمودة. باتنة 1990 . ص 22.

و نظرا للنشاط السياسي المكثف الذي كان يقوم به سي الحواس تركه محل شبهة ومتابعة دائمة من أجهزة الأمن الاستعمارية ، لذا كان لزاما عليه أن يبتعد عن أعين متتبعيه ، حيث سنة 1949 م كلفته حركة الانتصار بالذهاب الى فرنسا في مهمة سياسية فباع نختلين لاستعانة بثنهما في سفرة و قد اختير لهذه المهمة خاصة لما عرف عليه من قوة في الشخصية والقدرة على التأقلم و التّكر (1) . و قد تمثلت مهمته في متابعة نشاط الحركة الوطنية في الخارج ، نشر الوعي السياسي في وسط الجزائريين المغتربين ، جمع الأموال و كذا تفويت الفرصة ولو مرحليا عن عيون الاستعمار(2) .

في شتاء 1953 عاد سي الحواس الى وطنه للقيام بالتّحضيرات للعمل المسلّح ، حيث كان من أوائل مفجري الثّورة التّحريرية في منطقة الأوراس ، حيث قاد العديد من العمليات العسكرية ضد مقرات العدو الفرنسي . وفي أواخر شهر ماي سنة 1955 تمّ انعقاد اجتماع بمنطقة الجبل الأزرق ضمّ قادة الأوراس من اجل دراسة الوضع الرّاهن خاصة بعد الحصار الذي ضرب على منطقة الاوراس و قد كان من بينهم القائد سي الحواس الذي عين قائدا للمنطقة الثالثة برتبة رائد(3) ، وفي اجتماع شهر مارس 1956 بقيادة مصطفى بن بولعيد الذي ضمّ مسؤولي الجهة الغربية من الأوراس في المكان المسمى تافرننت بناحية منعة بولاية باتنة ، كان من بين المشاركين سي الحواس حيث طرحت لأول مرة فكرة تكوين الولاية السادسة التي باتت حقيقة بعد مؤتمر الصّومام في 20-08-1956 و قد توجّ على رأسها كقائد أول لهذه الولاية المجاهد علي ملاح ومنح رتبة عقيد و قد استشهد عام 1957 وعين خلفه سي الحواس ورقي الى رتبة عقيد .

1- قال الراوي المجاهد حمة بن عبد الرزاق العداوري أن احمد بن عبد الرزاق ، قال له ذات مرة " سافرت مرة الى مدينة بسكرة قبل اندلاع الثورة في مهمة نضالية حزبية ، ولكن تمت وشاية بي للعدو ، فاضطرت الى مغادرة مدينة بسكرة متنكرا في لباس امرأة ، بمساعدة شخص يدعى المكي له متجر وهو من وادي سوف ، ومن بسكرة اتجهت الى ورقلة . وفيها اشتبه فيّ العدو كذلك و أحسست أن عيونه تلاحقني ، فاخترت أن أتكر في ثياب متسول ، فطلبت من أحد المتسولين أن يستبدلني ثيابه الرثة بثيابي فأبى أول الأمر ، ثم فعل بعد أن دفعت له مبلغا من المال و صرت أتجول في الشوارع و أدخل المقاهي في حالتي تلك المزرية أسأل الناس الصدقة ، فكان كلما أعطيت صدقة أشعر بالخجل ، و في مقر الشرطة ، أجد الإعلانات ملصقة بالجدران بها صورتني و اسمي، ولكن لشدة تنكري كانت الشرطة تطردني كلما رأوني أقترب منهم متسولا ، فكنت أغادرهم لأختار أوسخ الأماكن أتمدّد فيها مهلة ، ثم أعاود الكرة سائلا الناس الصدقة الى أن أنهيت مهمتي التي كنت مكلفا بها " نقلا عن مجلة أول نوفمبر اللسان المركزي للمنظمة الوطنية للمجاهدين ، العدد 90-91 ، شعبان/رمضان 1408هـ ، مارس / أفريل 1988. ص 14 .

2- محمد العيد مطمر . نفس المرجع . ص 27-28.

3- المنطقة الثالثة من الولاية الأولى (أوراس- النمامشة) تتكون من النواحي التالية * ناحية مشونش * ناحية بسكرة * ناحية بوسعادة ، بحيث أن كل ناحية تتكون من أربع قسامات .

أدرك سي الحواس أنّ المسؤولية كبيرة و جسيمة ، ولكنه أصرّ على التّضحية ، وفعلا عمد الى توحيد أجزاء المناطق الجنوبية و البعيدة تحت نظام واحد ممثّل في الولاية السادسة(1) ، ووحّد مسؤولياتها ونظّم قاعدتها العسكرية وثبّت أركانها . بتاريخ 07-03-1957 توجه القائد رفقة ثلثة من الجند في مهمة سرية الى تونس ، أين التقى بالرئيس التّونسي الحبيب بورقيبة(2) ، وحضر مؤتمر تونس الصّحفي الذي انعقد في 22-03-1957 . بعد هذا الاجتماع عاد سي الحواس الى الجزائر وواصل كفاحه المسلّح على مستوى النّاحية السادسة ، و بعد الإعلان عن ميلاد أول حكومة حرّة للجمهورية الجزائرية في 19 سبتمبر 1958 بتونس تمّ عقد اجتماع ضمّ قادة النّواحي الستّة(3) ، و هذا من 01 الى 12 نوفمبر 1958 بجبل عسكر بالشّمال القسنطيني بالولاية الثّانية ، حيث تمّ عرض حال الثّورة و كيفية التّنسيق بين الولايات لمواجهة الخطط العسكرية الجديدة ، للمستعمر وقد تمّ تعيين وفدا للسفر الى تونس في مهمة سرية و كلف العقيدان سي الحواس وعميروش للقيام بها(4) . في النّصف الثّاني من شهر مارس سنة 1959 التحق العقيد عميروش بالقائد سي الحواس و هذا بجبل المهشم بالقرب من مدينة طولقة(5) ، أين مكثا رفقة المجاهدين حوالي أسبوعا ، ثم توجها الى جبل الميمونة القريب من بلدية وادي الشعير(6) ، حيث مكثا هناك قرابة الأسبوع كذلك خلاله قد تمّت العديد من الاتّصالات واللّقاءات مع العديد من ضباط الجيش في يوم 28 مارس

1959 انتقلا العقيدان رفقة 38 مجاهدا آخرين الى جبل ثامر(7) . و في صباح اليوم الموالي تم اكتشاف مرهم من قبل طائرات العدو ، حيث تحصن

- 1- الولاية السادسة انبثقت عن مؤتمر الصومام وهي تضم عموم الزيبان والصحراء .
- 2- الحبيب بورقيبة و لد سنة (1903-2000) بالمنستير ، يعتبر أول رئيس للجمهورية التونسية بعد الاستقلال في 20-03-1956 ، ثم أعيد انتخابه في 08-11-1959 و بقي رئيسا الى غاية 07-11-1987 حيث وقع عليه خمسة أطباء بتقرير يثبت عجزه عن مواصلة الحكم ، فخلفه الرئيس الحالي زين العابدين بن علي.
- 3-قادة النواحي الستة هو على التوالي الحاج لخضر الولاية الأولى ، حسين روابح الولاية الثانية ، عميروش الولاية الثالثة ، محمد بوقرة الولاية الرابعة ، الولاية الخامسة (لم يحضر نظرا للحالة الحصار المطوق عليها)، سي الحواس الولاية السادسة .
- 4-محمد العيد مطمر . نفس المرجع . ص 123.
- 5-تقع مدينة أو واحة طولقة بولاية بسكرة و تبعد عنها بمسافة 30 كلم غربا ، وهي معروفة منذ القدم و قد عثر بها على بقايا برج مراقبة روماني بلغت أبعاد أضلاعه ص 15 - 30م/22م، بني بالحجارة المنحوتة .
- 6-بلدية وادي الشعير والتي تسمى حاليا بلدية محمد بوضياف تابعة إداريا الى دائرة بن سرور ولاية المسيلة و تبعد عن مقر الولاية ب 130 كلم جنوبا .
- 7-جبل ثامر يقع بدائرة عين الملح ولاية المسيلة ولا يبعد عن دائرة بوسعادة كثيرا .

المجاهدون بالجبل المذكور و اندلعت معركة بين الفريقين الغير متكافئين استعملت فيها كافة أنواع الأسلحة دامت يوما وليلة كاملين استشهد خلالها العقيدان سي الحواس و آيت حمودة عميروش جنبا الى جنب رفقة مرافقيهم(1) ، رحمهم الله جميعا . كانت حياة الشهيد ، حياة نضال وكفاح من أجل القضية الوطنية وهي استقلال الجزائر ، وقد أيد الله كفاحه واستشهاده هو وغيره من الأبطال باستقلال الوطن العزيز الجزائر .

بعد هذا التّقديم الوجيز عن حياة صاحب الأثر ، نتساءل الآن عن هذا المعلم إن صحّ التعبير والذي نحن بصدد دراسته بحيث نتطرق بداية بدراسة تطوّر المسكن ألواحاتي بصفة عامة ثم نشرع في دراسة معمارية أثرية لهذا المسكن .

1-للمزيد من المعلومات راجع شهادات حية حول جهاد واستشهاد العقيد سي الحواس ، إعداد الأستاذ عبد الحميد السقاي . مجلة أول نوفمبر ، العدد 90-91 . ص 13-23 . مقال للأستاذ حواس بري . مجلة أول نوفمبر . العدد 96/97 سبتمبر أكتوبر 1988 . ص 86-88 .

- من كلمة التأبين على العقيد ، ألقاها بتونس السيد كريم بلقا سم نائب رئيس الوزراء و وزير القوات المسلحة في الحكومة المؤقتة ما يلي " ...أيها المجاهدون في جيش التحرير الوطني ، إن كل واحد منا يشعر بألم عظيم ، لاستشهاد القائدين البطلين عميروش و سي الحواس و إخوانهم المجاهدين الأبطال ، الذين كانوا بصحبتهما ، و هو ألم له ما يبهره ، لقد كان عميروش أمام الاستعماريين المتكالبين ، وأمام كل الوسائل الهائلة التي استعملت للقضاء عليه ، كان يمثل وجه الجزائر الحقيقي في جلاله وثباته ، الذي لا يعرف الضعف .

... و كان سي الحواس مثل جاره عميروش ، استطاع أن يدفع ولايته في انطلاقة الى الأمام ، وذلك بفضل إيمانه و شجاعته و براعته في التنظيم ، هذه الصفات التي كانت تميز شخصيته .

إن الجزائر قد خسرت يوم 29-03-1959 اثنين من أفضل أبنائها ، تغمدهم الله برحمته ، و لكن إذا كان واجبنا هو أن نبكي أبطالنا ، فان واجبنا كذلك يقضي علينا بأن نتشعب بفضائلهم و نسير على خطاهم ، أي أن نفتك جزائرنا المجاهدة ، أو أن نموت مثلهم أوفياء لما عاهدنا الله عليه .
إن عميروش و سي الحواس ، قد واجها قوات هائلة ، وأعطيا المثل في التضحية والإخلاص للقضية الوطنية ، لقد كانا مع إخوانهم يواجهون قوات مادية عظيمة ، ولكنهم لم يضعفوا في أية لحظة كانت ، لأنهم كانوا يعلمون أن موتهم أيضا سيكون مثلا أعلى لجميع مواطنيهم .
... أنتم أيها الشهداء الأبطال ، الذين تضافون الى إخوانكم في البطولة ديدوش مراد ، ابن بولعيد ، زيغود يوسف و ابن مهدي ، فلنكونوا مطمئنين ، إن هذه الجزائر التي دفعتم في سبيلها آخر أنفاسكم الطاهرة و التي تضرجت بدماء الأبطال و الأبرياء ، هذه الأرض ستعيش حرة مستقلة . " مجلة المجاهد العدد 40 . 02. أبريل 1959 ص. 5

الفصل الأول

تاريخ الواحات و انماطها السكنية

- تمهيد :

أولا - الإطار الجغرافي (أنواع الواحات).

1- واحات تقليدية :

- أ - واحات على منبع جبلي .
- ب - واحات على الأودية .
- ت - واحات على جيب مائي .
- ث - واحات على منابع تقليدية .

2- واحات حديثة :

- أ- واحات حديثة على آبار .
- ب- واحات على السدود الخزانات .

ثانيا - الإطار التاريخي : (عوامل ظهور المستوطنة ومراحل نموها) .

1- عوامل الظهور:

- أ -العامل الاقتصادي. ب- العامل الديني .
- ت- العامل الجغرافي. ث- العامل الدفاعي.
- ج- العامل الإداري.

2- مراحل النمو:

- أ مرحلة الظهور والنشأة. ب- مرحلة النمو .
- ت- مرحلة النضج . ث- مرحلة الاكتمال .

ثالثا - أنماط المنشآت الواحية

- 1- القصور الصّحراوية .
- 2- علاقة القصر بالمدينة.
- 3- أنماط القصور الصّحراوية ..

- الخلاصة .

تمهيد :

تعتبر الصحراء من أكبر المناطق القاحلة في شمال إفريقيا و العالم ، بحيث تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا، و تتمثل حدودها من الشمال مرتفعات الأطلس والبحر المتوسط ، من الشرق البحر الأحمر و مصر ، من الغرب المحيط الأطلسي و من الجنوب الساحل وواد النيجر . بمسافة إجمالية قدرها 1500 كلم عرضا و 5200 كلم طولاً، وهي بذلك تشغل مساحة قدرها 09 مليون كلم². بحيث أن معظم أجزائها تقع بدول المغرب العربي إضافة إلى دولة مالي ، النيجر . كما يمكن إضافة صحراء الحجاز والشام والعراق بحكم تشابهها في المناخ و التضاريس.

إن الرسومات الصخرية في منطقة التأسيلي وغيرها من المناطق الصحراوية تعتبر دليلاً واضحاً على ما كانت عليه الصحراء في الماضي ، حيث أنها كانت تتميز بمناخ رطب ، تشبه بذلك مناطق السافانا ، تكثر بها الحياة لما توفره من مصادر معيشية . و منذ ما يقارب 5000 سنة ، شكلت عملية التصحر حاجزاً يفصل بين إفريقيا المتوسطية وباقي أجزاء القارة يصعب اختراقه، و بفضل إدراج شجرة النخيل التي سمحت بتهيئة فضاءات معيشية وهي الواحات ثم إدخال الجمال التي ساعدت على الحياة و سهلت التنقل ، و باتت الصحراء بعد ذلك في المتناول خاصة بعدما عرفت دروبها وأهوالها ، أضحت القوافل تقطع فيافيها من الشمال إلى الجنوب ، مشكلة بذلك طرق تجارية هامة تربط أفريقيا الشمالية بإفريقيا السوداء.

تشغل الواحات حوالي 200.000 كلم² من المساحة الإجمالية للصحراء، و هي الأماكن الأساسية للمناطق الجافة والشبه الجافة التي تتمكن فيها الكائنات الحية بما فيها الإنسان من العيش و الاستمرار.

أولاً- الإطار الجغرافي: (خريطة 11)

إن جلّ الدراسات التي قام بها الباحثون سمحت بتصنيف الواحات إلى نوعين أساسيين و هما واحات تقليدية و أخرى حديثة ، و قد اعتمد هذا التصنيف على عنصر الماء(1). و في هذه الدراسة سوف يتم تركيزنا على واحات المغرب العربي عامة و واحات الجزائر على الخصوص و أهم الواحات المعروفة هي :-

1- الواحات التقليدية :

يقصد بالواحات التقليدية ، تلك الواحات التي ظهرت منذ زمن بعيد و مازال أهلها يعتمدون في طرق ريها على الوسائل القديمة و المتوارثة كالفوقارة والآبار التقليدية ، وتشير الدراسات الحديثة إلى أن هناك أربعة أنواع رئيسية من الواحات التقليدية وهي:

أ- واحات قامت على سفح جبلي :

تتوضع مثل هذه الواحات على أطراف الجبال و نجد مثل هذا النوع جنوب غرب تونس مثل جبل بليجي بتونس وجبال الأطلس و الهقار إلا أنها تكاد تكون قليلة إن لم نقل نادرة . و هذه الواحات تتغذى من منابع مائية جبلية ذات مستوى ثابت من السيّلان على مدار السنّة ، يتم توجيه المياه بواسطة قنوات الى مواضع السّقي . مثل هذه الواحات تتوسع بنفس الشّكل الذي تكون عليه.

ب- واحات عند الأودية:

هذا النوع من الواحات نجده بكثرة في منطقة المغرب العربي . تتوسع هذه الواحات بشكل متطاوّل ، وهذا على طول المجرى المائي بحيث يتم إنشاء بعض المحاجر المائية على طول المجرى و توصل بدورها بقنوات طويلة التي من خلالها توجه المياه الى مواضع السّقي . غير أن مثل هذه الواحات لا تتوفر على مصدر منتظم من المياه و ذلك أنّ المصدر الرّئيسي للمياه هي الأمطار وخاصة الثّلوج. بحيث تكون من نهاية فصل

1- Michael.(R) ; Les Oasis au Maghreb. Mise en Valeur et développement .Centre d'études et de Recherches Economiques et Sociales .Tunis.1995.p29.

الشتاء إلى غاية فصل الرّبيع .ثم تأخذ في التناقص و التقلص بشكل هام في فصل الصّيف . هذا النوع من الواحات ينتشر بكثرة في جنوب الأطلس الكبير بالمغرب ، و الأطلس الصّحراوي بالشّرق الجزائري خاصة على ضفاف الوادي الأبيض(1)، مما يجعل واحة مشونش تنتمي الى مثل هذا النوع .

ت- واحات عند الينابيع المائية :

ينشأ هذا النوع من الواحات الواقعة على جيوب مائية تحت الأرض يقوم أصحابها بإنشاء آبار غير عميقة خاصة بهم تسمح لهم بالتزود بالمياه ، نسبة المياه عادة ما تكون كافية لأصحابها كما أن قنوات السّقي تتميز بقصرها . تنتشر مثل هذه تقريبا في معظم أنحاء المغرب العربي .

ث- واحات على منابع تقليدية:

ينشأ هذا النوع من الواحات على منابع مائية تنبثق من سطح الأرض تجعل الحياة من حولها ممكنة ، بحيث أن سيّلانها معتدل ومستمر على طول السنّة ، تدعى هذه المنابع ب"الفوقارة"(2). تنتشر مثل هذه الواحات في الجنوب الجزائر كواحات أدرار و تميمون ورقلة و كذا في الجنوب التّونسي بشط الجريد و نفاوة .

2 – الواحات الحديثة :

يعني بالواحات الحديثة هو تلك الواحات التي استحدثت من العدم بمثل هذه المناطق أو واحات تقليدية تم استحداث بها آبار عميقة و خزانات للمياه(3) .

-1 Michael.(R) ; Op-cit . p31.

-2 Ibid p 36.

-3 Ibid p29

أ- واحات حديثة على الآبار :

تنتشر مثل هذه الواحات الكثيرة في وقتنا الحالي في الجنوب الشرقي الجزائري و الجنوب التونسي ، وقد تكون الآبار بعيدة عن موقع الواحة أين يتم توجيه المياه بواسطة قنوات طويلة الى مواضع السقي ، كما تجدر الإشارة الى أن هذا النوع من الواحات عادة ما يتم إنشائه على أطراف الواحات التقليدية التي بدورها يمكن أن يتم سقيها من مياه الآبار نظرا لقلّة مصادرها المائية(1) .

ب - واحات على تجمع المياه في السدود الخزانات :

بسبب التلوج الكثيفة التي عادة ما تتساقط على مرتفعات الأطلس المغربي وجبال الأوراس و التي توفر نسبة عالية من المياه دفعت سكان مثل هذه المناطق إلى إنشاء ما يعرف بالسدود الخزانات التي يمكن استغلالها على مدار السنة(2) ، و هذا النوع من الواحات يندم في تونس لعدم وجود جبال عالية .

من خلال هذا المبحث نستنتج إن الواحات ترتبط ارتباطا وثيقا بالمصدر المائي الذي بات عنصرا أساسيا في نشوئها و ازدهار حياة فيها، كما يسمح بإقامة الإنسان و يكون له في الكثير من الأحيان الدور الفعّال في استمرار الواحة من اندثارها.

1- Michael.(R) ; Op.cit. p 36

2- Ibid . p 39.

ثانيا- الإطار التاريخي:

لا يمكن في أي حال من الأحوال تحديد الفترة الفعلية لاستيطان الصحراء أو الواحات بصفة خاصة، وهذا راجع الى أن أسباب الاستيطان متعددة ومختلفة ، كما انه لا يمكن أن نتكلم على المسكن الواحاتي بصفة منفردة أكثر ما نتكلم على المستوطنة الواحاتية ، غير أن الثابت تاريخيا أن تطوّر هذه المناطق و ازدهارها كان على يد العرب المسلمين الذين يرجع لهم الفضل في ذلك ، خاصة عند وصولهم إلى منطقة المغرب و مخالطتهم لمجتمع البربر المقيم فيها، و كان سبب هذا التقرب أساسا التشابه في العادات والتقاليد . كما يجب التنويه إلى أن هناك أخرى أسبابا رئيسية دفعت إلى عملية الاستيطان وبذلك بنشوء و تطوّر و ازدهار مستوطنة على حساب الأخرى ، و أول هذه الأسباب التجارة والحج ، إلا أنّهما لم يكونا السبب الوحيد في

عمارة الصّحراء حيث ما أن تنشأ و تزدهر مستوطنة ما بسبب من هذين العاملين إلا و أن تبدأ عوامل أخرى تؤثر على نموّ وتطورّ المستوطنة الواحية .

1- **عوامل الظهور** : هناك العديد من العوامل التي تكون وراء ظهور أو نموّ أية مؤسسة بشرية و التي يمكن حصرها فيما يلي :

أ- **العامل الاقتصادي** : خلال القرن الأول قبل الميلاد و بسبب ازدهار التجارة الفينيقية تمّ إنشاء محطات تجارية على طول الساحل الإفريقي ، و قد تميزت بقربها ببعضها البعض في أغلب الأحيان . ولم تكن عن طريق الصدفة بل كان تميزا وتقديرا من التجار الفينيقيين الذين اشتهروا بالتجارة البحرية . هذه المحطات التجارية قامت حولها مؤسسات بشرية تطورت مع الزّمن لتصبح مدنا تجارية مزدهرة . و باتت مع مرور الوقت تبحث عن منتجات جديدة غير تلك التي تجلب من المدن الفينيقية ، إلا انه من خلال التّرجيحات التاريخية فان المنطقة لم تعرف تواجد فنيقي (1) .

1- إبراهيم مياسي: من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر . ديوان المطبوعات الجامعية . 1999. ص41.

غير أنه خلال العهد القرطاجي قامت حركة تجارية واسعة بين المناطق الشماليّة و الصّحراوية و أقيمت أسواقا نشيطة و مزدهرة على تخوم الصّحراء ، وبالأخص على ضفاف شط ملغيغ من أجل تبادل السلع المختلفة التي كانت تحملها القوافل الى هذه المراكز محملة بالذهب و الجلود و ريش و بيض النّعام و العبيد من الجانب الصّحراوي و الأقمشة و الحلي و الملح و الأحجار الكريمة من الجانب القرطاجي(1)

أصبحت منتجات مجتمعات الجنوب (المنتجات الأفريقية) المتمثلة في الجلود ، العاج ، الذهب ، بيض النّعام ، هذه الأخيرة كان يستعملها الفينيقيون و القرطاجيون في المراسيم الجنائزية من أهم المطالب التجارية . و حسب المؤرخين الإغريق فإن التجارة الصّحراوية عرفت منذ عام 1000 ق م ، وقد كانت في ذلك الوقت تعتمد على العربات التي تجرها الثيران و الأحصنة .

و لم يعرف هذا النوع من التجارة جيدا إلى غاية نهاية القرن الأول قبل الميلاد أثناء الاستيطان الروماني ببلاد بشمال إفريقيا الذي أدخل الجمال و استعملها في نقل هذه البضائع وبهذه الوسيلة باتت التجارة مع مجتمعات الجنوب حقيقة قائمة إلا أنها بقيت مجرد محاولات من حين إلى آخر . و لم يتم بروز هذا النوع من التجارة بشكل بارز حتى القرن الثامن الميلادي الذي زامن دخول العرب المسلمين إلى المنطقة حيث انتشر في وقتهم هذا النوع من التجارة كونهم من أهلها مصداقا لقوله تعالى " **لأيلا في قريش إيلا فيهم رحلة الشتاء والصيف** " (2) . وتوسّعت بعد ذلك بشكل كبير ، و بدأت تهيئة بعض المناطق و الاستيلاء على أخرى التي تمرّ عليها القوافل للإقامة أو للتحصن أو للتخزين ، و مع الوقت باتت رباطا ، قصورا ، مداشر ومدنا . و قد بات هذا العامل له الدور الفعال في إقامة المدن العربية إذ ما يراعى دائما في اختيار موقع المدينة(3)

1- إبراهيم مياسي: نفس المرجع السابق . ص41.
2- الآية 02 من سورة قريش.

ب- العامل الديني : من المعروف أن الدين يمثل الحياة الروحية للإنسان ، ولما كان يتعلّق بمكان ما فيصبح ذلك المكان مقدسا ومزارا شريفا للتّابعين ، و يكبر ويتوسّع لكثرتهم و يعلو صيتهم و مثل ذلك مكّة المكرّمة و المدينة المنوّرة ، و القدس (المسجد الأقصى+ كنيسة القيامة)، والنّجف و كربلاء ، والقاهرة ، و تونس وقد ينقص شأن بعضهم ومثال ذلك الزوايا المنتشرة هنا وهناك في عموم القصور الصّحراوية. لذا باتت الطّرق المؤدية إلى هذه المناطق مزدهرة فنشأت على أطرافها مستوطنات هنا وهناك استمرت باستمرار هذه المواقع .

ت- العامل الجغرافي : لقد بات اختيار مواقع المستوطنات الصّحراوية امراً ضروريا قد يحدّد استمرارها من عدمه ، و ذلك لان الأمة العربية خاصة قد استوعبت واقع امتدادها و انتشارها البري الذي ولّد تقاليد خاصة انعكست على الظّاهرة الحضريّة ، و في ذلك سبب لما قام به العرب بنقل عواصمهم نحو الدّاخل فمن أنطاكية إلى دمشق بسوريا و من الإسكندرية إلى مصر و من الكوفة إلى بغداد وسامراء بالعراق و من قرطاجة إلى القيروان بتونس . كما أن معظم هذه المستوطنات البريّة (الصّحراوية) اعتمدت كثيرا على المواقع التجاريّة خاصة منها طرق النّقل الرّئيسية الرّابطة بين المدن والعواصم الكبيرة ، و لذلك تباينت هذه المستوطنات فيما بينها مع الزمن و ذلك مرده الأساس إلى استمرار الأهمية العالميّة للطّرق التجاريّة التي تقع عليها هذه المستوطنات . إلا أنه في معظم هذه الحالات كانت تراعى نظم في إنشاء هذه المستوطنات و التي وردت في العديد من المصادر التّاريخية والجغرافية ، وقد لخصها ابن الرّبيع فيما يلي :

1- **سعة المياه المستعذبة :** و هي أن يصبح الماء الشروب في متناول أهل المستوطنة و أن لا يكون فيه عناء خاصة وانه سبب حياة المخلوقات جميعا ، والماء في الصّحراء ليس للشرب فقط فهو كذلك للزّراعة التي هي أساس الحياة . و وادي الأبيض الذي تقع على ضفافه واحة مشونش يوفر لها حاجتها من المياه التي يكثر تدفقها في فصلي الشتاء والرّبيع تزامنا مع نوبان التّلوج وتتناقص في فصل الصّيف إلا أنها لا تجفّ .

2- **إمكانية الميرة المستمّدة :** و يخصّ توفير الغذاء لساكني الموقع ، كأن تكون منطقة زراعية أو تكون واقعة على طريق أو طرق تجارية . كحال هذه الواحة التي إضافة إلى اشتغال أهلها بالزّراعة فهي تقع على طريق يربط واحات الزّاب وجنوبها بالمستعمرات الرّومانية (تاموقادي ، تازولت وغيرها) و هذا عبر جبال الأوراس .

3- **اعتدال المكان وجودة الهواء :** توضع صحة العباد في المطاف الأول من الاهتمام ، فاختيار الأماكن ذات الهواء النّقي أولى لها المسلمون عناية فائقة ، وهذا ما ورد في الكثير من المصادر الإسلاميّة التي تناولت دراسة المدن الإسلاميّة(1) . و على هذا فلا أنقى من هواء الصّحراء خاصة منها الواحات .

4- **القرب من المرعى والاحتطاب** : إن سدّ حاجات المال من الإبل والأغنام متوقّر لدى سكان واحة مشونش بفضل المزارع التي تميّز المنطقة و التي كفلت هذا الباب وكذا الحطب الوقود الذي توفره الجبال بوفرة.

5- **تحصين أهلها من الأعداء و الدّعار و أن يحيط بها سور يعين أهلها** : يتميّز موقع الواحة بتحصين طبيعي منيع فاللّبنة الأولى للواحة تتوضّع على سفح جبل صخري لا يسمح الوصول إلى البلدة إلا من جهة واحدة يمكن الدّفاع الجيّد عنها ، ضف إلى وقوعها ضمن مجموعة من القبائل من نفس الأصل و التي تقطن واحات مجاورة تسمح بالتّعاون في رد الغاصبين(2) .

-
- 1- انظر مثلا وصف القزويني لمدينة صنعاء و بغداد في كتابه: آثار البلاد و أخبار العباد . دار صادر بيروت 1960 ص ص 313-50 .
 - 2- ابن أبي الربيع (شهاب الدين أحمد بن محمد) : سلوك المالك في تدبير الممالك . دراسة وتحقيق ناجي التكريتي ، ط1، تراث عويدات ، بيروت – باريس 1978 . ص152.

ث- **العامل الدّفاعي** : لقد عملت الدّول عبر مختلف الأزمنة والعصور على حماية نفسها بتحصين حدودها بحصون و قلاع و لعلّ أشهر الحالات هو اللّيمس الرّوماني الذي و ضع خصيصا لحماية حدود الإمبراطورية الرّومانية من الجنوب ، و قد ظهر حول معظم القلاع و الحصون التي أنشأت مستوطنات فيها من استمرّ إلى يومنا هذا مثل ذلك مدينة فيسيرا بسكرة حاليا ، و فيهم من اندثر و زال و بات خرابا مثل مدينة طبنّة(1) ، التي كانت في ما مضى مدينة كبيرة .

ج- **العامل الإداري** : لقد كان للتّوسع الكبير الذي شهدته بعض الدّول خاصة منها الإسلامية أمرا دفع إلى البحث عن المركزية تجنبا للنّزاعات و الصّراعات(2) ، و المقصود بالمركزية هنا هو موقع العاصمة ، فبات نقل العاصمة من مكان إلى آخر أمرا ضروريا فمن مكة الى المدينة المنورة في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) و الخلفاء الرّاشدين إلى دمشق في العهد الأموي ومنها إلى بغداد في العهد العباسي و من بعد ذلك القاهرة في العهد الفاطمي و المماليك من بعد و في المغرب الإسلامي من قلعة بني حماد إلى بجاية الحالية و كذا من فاس إلى مراكش و منها الرّباط خلال حكم الموحدين ، و بذلك كان خلال كل تغيير في هذه المراكز الإدارية تتغير بذلك كثافة وجهة القوافل و بذلك تنشأ أو تتطور بعض المستوطنات على حساب الأخرى .

1- مدينة طبنّة التاريخية عرفت بالكثير من المراجع التاريخية الإسلامية و قد دلت الحفريات أنها تقع على انقاد مدينة رومانية تدعى(Thubunae) غير أنها اندثرت مع مرور الزمن ، وهي لا تبعد عن مدينة بريكة بولاية باتنة الحالية إلا ب19 كلم إلى الغرب .لمعرفة الأكثر عن هذه المدينة انظر: ابو عبيد الله البكري – المغرب في ذكر بلاد افريقية –المغرب- تحقيق دوسلان ، الجزائر 1875. ص ص123-125. كذلك : اليعقوبي (محمد بن ابي يعقوب) : كتاب البلدان . مطبعة بريل ، ليدن ،1891، ص 83 .

2- مراحل النمو : من البديهي أن كل مستوطنة صحراوية كغيرها من المستوطنات لا تنشأ وتزدهر في زمن واحد بل تسير عبر مراحل حتمية في معظم الحالات ، تشكّل في نهاية المطاف مراحل نموّ المستوطنة و التي تتدرج كالاتي .

أ- مرحلة الظهور والنشأة : لا يمكن لأي مستوطنة في أي حال من الأحوال الظهور دون أن يكون لواحد أو أكثر من العوامل التي تمّ ذكرها الدور الفعّال في ذلك ، وهنا نشير بأنه في معظم الأحيان يكون هناك تجانس في السّكان أي أنّهم من أصل واحد ، كما انه من المؤكّد لا يبق العامل الرئيسي الذي كان سببا وراء نشأة المستوطنة هو وحده فيحدث أن تتفاعل العوامل الأخرى فتصبح هي السبب الأول وراء استمرار المستوطنة أو تطوّرها .

ب- مرحلة النمو : تتسم المستوطنة في هذه المرحلة بالتوسع ، و يرتفع بذلك عدد المنشآت المعمارية سواء الخاصة أو العامة ، مما يدفع إلى تطوير نظام الخدمات بها(1) ، و هذا ما يلاحظ في عموم القصور الصحراوية التي بسبب تحصيناتها الدفاعية باتت تستغل هذه الخصائص في درّ أرباح على سكانه كحماية أغراض البدو الرّحل المتمثّلة في المواد الغذائية ذات الاستهلاك الواسع كالحبوب وهذا في مخازن أنشأت لهذا الغرض . و لا يكون هناك نمو منظم إلا بعد استحداث هيئات إدارية تنظم الشؤون العامة للسّكان فيما يخصّ الواجبات و الحقوق خاصة و أنهم أصبحوا غير متجانسين ، فهذا التّنظيم يخلق الأمن و الازدهار مما يجعل مثل هذه الأماكن محل هجرة نحوها و مقصد لمختلف القوافل و قد عرفت في بعض المصادر التّاريخية بالهيئة الاجتماعية(2) .

ت- مرحلة النّضج : بسبب النّمو الطّبيعي للسّكان ، و تنوّع سكانها ، تتنوع بذلك الخدمات التي تقدّمها المستوطنة ليس فقط لقاطنيها بل حتى لسكان المستوطنات المجاورة فتتقدم عليهم بذلك و تصبح في مصاف المدن(3) ، مثلا بأن يكون بالمستوطنة مسجد جامع تقام به صلاة الجمعة أو سوقا كبيرة ، فهذا يسمح لها بالتّقدم عن باقي المستوطنات وتصبح بذلك مقصدهم و حاضرتهم .

1- خالص الأشعب : نفس المرجع السّابق ، ص 16 .

2- القزويني (زكريا بن محمد) : آثار البلاد و أخبار العباد . دار صادر بيروت 1960 . ص 7-8 .

3- نفس المرجع السّابق . ص 16-17 .

ث- مرحلة الأكمال : تحتلّ المستوطنة في هذه المرحلة المرتبة الأولى بين المستوطنات الأخرى في النّضج من حيث التّسيير و التّنظيم فيمكن لعامل من العوامل التي تمّ ذكرها أن يأخذ الحظ الأكبر في ازدهار و نموّ المستوطنة ، فيمكن أن تصبح المستوطنة حاضرة للدولة و عاصمتها فتزدهر و تنتعش بذلك كحال قلعة بني حماد بالمسيلة بأن أصبحت عاصمة للحماديين ، أو مدينة القيروان بأن أصبحت عاصمة للعرب الفاتحين ببلاد المغرب . ففي هذه المرحلة تصل المستوطنة إلى أعلى مراتب النّمو كأن تصبح عاصمة بعدما كانت مجرد قرية أو أدنى من ذلك .

يجب التّويه كذلك إلى أنه ليس بالضرّورة أن تمرّ كل مستوطنة بهذه المراحل التي تمّ سردها و من الأمثلة على ذلك مدينة بغداد مدينة أبي جعفر المنصور الذي اختار موقعها وصفات بنائها وجعلها من العدم حاضرة و عاصمة للخلافة الإسلامية و باتت بذلك في مصاف العواصم العالمية بل أرفع قدرا ، وهي المدينة التي قال فيها الجاحظ " رأيت المدن العظام و المذكورة بالإتقان والإمكان ، بالشّامات و بلاد الرّوم و في غيرها من البلدان ، فلم أر مدينة قط أرفع سمكا ، و لا أجود استدارة ، و لا أنبل نبلا و لا أوسع أبوابا ، و لا أجود فصيلا من الرّوراء ، وهي مدينة أبي جعفر المنصور " (1) ، أو في الوقت الذي تستغرقه مستوطنة ما لتصل إلى مرحلة الاكتمال و الرّيادة فان مستوطنات أخرى مازالت في المراحل الأولى من التّطور وقد تكون مازالت على حالتها الأولى و في ذلك مثال عن قرى الزّاب كطولقة و الدّوسن وغيرها التي نشأت منذ القديم و كانت ضمن مجموعة حصون اللّيمس فلم تتطور من حولها مجتمعات كبيرة رغما قدمها ، فبقيت تتأرجح بين مرحلتي النّمو و النّضج بينما مدينة بسكرة التي تعود في ظهورها بالتّقريب إليهما إلا أنها سبقتهما ووصلت إلى أن أصبحت عاصمة إمارة الزّاب خلال الفترة الممتدة من (687هـ/1279م) إلى (804هـ/1402م) تحت حكم بني رومان البسكريين ، و باتت من أغنى إمارات الجزائر وأضخمها لذلك العهد (2) .

- 1- سليم عادل عبد الحق : "تشبيد بغداد وأثره في فن العمارة و العمران العربي و العالمي" . الحوليات الأثرية السورية 1963 . المجلد الثالث عشر . ص 03.
- 2- ابن خلدون : نفس المرجع . ج.6 ص.405 . كذلك انظر عبد الرحمان بن محمد الجليلي: تاريخ الجزائر العام . الجزائر 1995 . ج.2 ص ص 56-57.

كما أنّنا نرى أن واحة مشونش مرت في نموّها بمرحلتين فقط وهي مرحلة الظهور والنشأة وهذه لا نستطيع تأريخها إلا أن الغالب في الأمر أنها تعود لعهود قديمة ، تسبق تاريخ الفتوحات بكثير ، أما عن العوامل التي دفعت إلى ظهورها ، فمن الأرجح أن عامل الموقع الذي تتميز به خاصة وأنها البوابة الجنوبية لمنطقة الأوراس ، الذي سمح من جهة للعامل الاقتصادي بالنّمو والتأثير و قد ترك لها الأفضلية أن تصبح إحدى محطات القوافل المتّجهة نحو الشّمال مما ساعد أهلها على الاستقرار والظهور ، ومن جهة أخرى لم تستطع أن تتجاوز مرحلة النّمو للعديد من الأسباب منها موقع هذه الواحة الذي يميّز بالطابع الجبلي الذي يحدّ من التّوسع ، ضف إلى العديد من الأسباب الأخرى كعدم تجانس أهل المنطقة مما زاد من ركودها وانغلاقها وكذا وجود مستوطنات غير بعيدة عنها تمكنت من اجتياز جميع المراحل كبسكرة مثلا مما أثر سلبا عن باقي المستوطنات المحيطة بها وحول بذلك كل الأنظار سواء فيما يخص الهجرة بحثا عن فرص العمل أو غيرها إلى حاضرة المنطقة (بسكرة).

ثالثا- أنماط المنشآت الواحية :

لقد عرف الإنسان الاستقرار منذ 7000 سنة قبل الميلاد ، وهذا بعدما أدرك أسباب العيش من غير الصّيد و التّنقل و التّرحال لأجله ، و كذا بعدما نظر إلى حاله فرأى أن يدفع عن نفسه و أهله أذى الطّبيعة من مناخ وحيوان ، فكان له أن يفكر أو يبدع في إنشاء مأوى له ، فأستغل الكهوف و الغيران في بادئ الأمر لقصور حاله و قلة إبداعه (1) . و لأن مثل هذه الأماكن ليست متوفرة بكثرة فقد ارتأت النّفس البشريّة إلى اصطناع ملاجئ أخرى غير تلك المعهودة فكانت الغيران ثم بعدها الحجرات الدائرية والتي هي عبارة عن حفرة دائرية يتم تسقيفها ، ثم تطورت لديه فكرة البناء مع مرور الزمن . و نظرا لتكاثر الإنسان و تكاثر بنائه احتاج إلى حفظ مجتمعه من الطّارقين. فأحتاج إلى تدعيم المباني التي تأويه بسور أو سياج أو غيرها من

المنشآت التي يراها نافعة له وحافظة لمجتمعه ، فصار له بذلك مصرا واحداً . ولعلّ أهم ما تميزت به المباني الصّحراوية على الخصوص هو ما يصطلح على تسميته بالقصر ، و ربما كان الميزة الأساسية للمنشآت الصّحراوية .

1- ابن خلدون : نفس المرجع . ص 387 .

1- القصور الصّحراوية :

يعرّف القصر لغويا بأنه هو المنزل ، و قيل كل بيت من حجر قرشية(1). و سمّي كذلك لأنه تقصر فيه الحرم أو تحبس ، مصداقا لقوله تعالى " حور مقصورات في الخيام " (2) . و جمع قصر قصور مثلما جاء في الذّكر الحكيم " .. ويجعل لك قصورا " (3) . و يعتبر القصر ميزة من ميزات الطبقة الحاكمة ، و هو شاهدا ماديا على قوّة و عزّة الحاكم كما جاء في قول ابن صاحب الصّلاة " الملوك تبني على قدرها من الأقدار " (4) . و هو الذي تعود إليه جميع موارد الدّولة و منه تنطلق مظاهر القوّة(5).

بالنسبة للمناطق الصّحراوية يختلف مفهوم القصر كليا (6) ، حيث يقصد به أنه قرية محصنة أو بالأحرى تكتلات سكنية متراسة و متلاحمة فيما بينها تقطنها مجموعات بشرية ، تنتمي إلى أصول عرقية من طبقات اجتماعية مختلفة(7) . يحيط بهذه المباني سور سميك يدعم أحيانا بأبراج يزود بمدخل رئيسي مثل ما هو الحال في القصر القديم بورقلة و الأغواط ، و قد تخلو هذه القصور من العناصر الدّفاعية و تعوّض بجران البيوت الخارجية لتشكّل في النّهاية ما يشبه السور يحيط بكافة أرجائها و يدعّم من الخارج بدعامات نصف هرمية و مثل ذلك قصر تاجموت و الحويطة بالأغواط و قصر تماسين .

- 1- الفيروز آبادي(مجد الدين): القاموس المحيط ، ج2، دار الجبل ، بيروت .ص122. كذلك وجدي محمد فريد : القصر ، دائرة معارف القرن العشرين ، المجلد7، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، 1971 ، ص 834 .
- 2- الآية 72. من سورة الرحمان .
- 3- الآية 10 . من سورة الفرقان .
- 4- ابن صاحب الصلاة (عبد الملك ابن محمد) : تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة و جعلهم الوارثين ، تحقيق عبد الهادي التّازي ، ط1، السفر2. دار الأندلس للطباعة و النشر ، بيروت 1964، ص.140
- 5- Sourdel (D) et (J) : La civilisation de l' Islam classique . éd.Arthaud . Paris 1983.p300.
- 6- Zine (A) ; Ksours . H.T.M. N° 2 .Juin 1994 .p 17 .
- 7- Capot Rey (R) ; Greniers domestiques et greniers fortifiés au Sahara . le cas de Gourara . T.I.R.S. t 14 . 1956 . p 158 .

لقد استعملت كلمة قصر في بعض المصادر التّاريخية للدّلالة على أنّها تجمّعات سكنيّة أهلة بالسّكان أو هجرت من طرف أصحابها(1). ويستغل القصر كذلك في تخزين المواد و المنتجات الزراعيّة للقبائل الرّحل في مخازن خاصة لهذا الغرض ، وهو ما يلاحظ في العديد من القصور المتواجدة في جنوب ليبيا(2) ، تونس(3) ، المغرب الأقصى(4) ، و كذا منطقة الأوراس و مناطق الجنوب الجزائري(5) .

يقوم النسيج العمراني وفق تقاليد حضارية سائدة، ناتجة من تفاعلات أهمها العوامل الاجتماعية. كما يستجيب للشروط التي يسير عليها مجتمع القصر و جلها منبثقة من الدين الإسلامي الحنيف(6)، الداعي إلى المحافظة و الحرمة و احترام الآخرين و كذا النظافة و التعاون و التماسك بين المسلمين(7). لذلك نجد بيوت القصر في شكل متراس مثلما ورد في الحديث الشريف " المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه البعض " .

- 1- انظر وصف الإدريسي لمدينة لبدة الواقعة شرق طرابلس (لبتييس مقنا .Leptis Magna). الإدريسي (أبو عبد الله محمد): المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق ، تحقيق محمد حاج صادق ، ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر 1983 . ص 175 . كذلك وصف الوزان لقصر العباد (المغرب الأقصى)... انظر الوزان (الحسن بن محمد) : وصف إفريقيا ، ترجمة د. حجي و د. محمد الأخضر ، ط2 ، ن ج1، دار المغرب الإسلامي ، بيروت 1983 ، ص 292 .
- 2- Des pois (J) ; Le Djebel Ne foussa . Etude géographique .Paris 1935 . p 26 .
- 3-4 -Louis (A) ; Tunisie du sud . Ksar et villages de crêtes . C.N.R.S. Paris 1975 .
- Terasse (H) ; Kas bas Berbères de L'Atlas et des Oasis . Les grandes architectures du Sud Marocain .Horizon de France1938 .pp 97-137.
- 5- كانت القبائل الرحل التي خاصة ما تعتمد على الرعي و الانتقال من مكان إلى آخر تعتمد في تخزين موادها الغذائية الضرورية على القصور الصحراوية وذلك تحت حماية أصحاب القصر مقابلة نسبة متفق عليها .
- 6- Ougouadfel (H). Le sacre comme concept pour la formation et la transformation de la cités . Cas de Gardaia . H.T.M. n° 2 . Juin 1994 . pp 93-102 .
- 7- ابن الأخوة (محمد بن محمد): معالم القرية في أحكام الحسبة ، نقل وتصحيح روين ليوي ، مطبعة دار الفنون ، كميريدج 1937 . ص ص 78-79. كذلك - المجليدي احمد سعيد : كتاب التسيير في أحكام التسعير ، تقديم وتحقيق موسى لقبال ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر . ص ص.109.76.70

وجلّها تتكوّن من طابق أو أكثر، عادة ما تشترك فيما بينها في بناء الجدران كما أنها في معظم الأحيان تتوقّف على واجهة واحدة التي يكون بها المدخل الرئيسي ، و الذي يفتح عادة على شارع أو درب ، كما أن هذه السكّانات تتميز بانعدام الأفنية في الغالب وهذا ناتج عن ضيق المساحة الممنوحة للمستفيد ، لذا نجد قاطنيها يستغلون أسقف المساكن كفضاء خارجي و قد افتقدت ظاهرة التراس منذ مدة وأصبحت المباني متباعدة(1). و قد تحتوي القصور على قسبة أو أكثر يحتمي بها السكّان عند تعرّضهم لغارة ما. و تتشكل القسبة حينئذ من مجموعة من الغرف تعلق الواحدة الأخرى، بحيث أن لكل فرد من أفراد القصر غرفته الخاصة(2)، كما أن القسبة تحتوي على جميع المرافق الضرورية من مدرسة و جامع علاوة على مخازن للمؤن. عادة ما يتوسّط القصر المسجد الجامع وكذا الساحة التي تعرف بالرحبة و هي الفراغ الذي تنتفس منه الأحياء السكّانية المتراسة ، حيث أن كل الشوارع والدروب تؤدي إليهما. كما أن القصور الصحراوية تشترك في عنصرين هامين هما القرب من منابع المياه مما يجعل هذه القصور وسكانها يرتبطون ارتباطا وثيقا بالزراعة، تقيدا بالشريعة الربّانية التي توصي بالحلال الطيب مما تنتجه الأرض. و من الوصايا في هذا المجال ما أوصى به زياد بن أبيه بقوله " أحسنوا إلى المزارعين ، فإنكم لا تزالون سماتا ما سمناوا"(3) ، وفي هذا دعوة لتشجيع الزراعة وتقديمها لأهلها ، كونهم أساس العمارة كما تؤكد المصادر التاريخية حيث

1- تعود تباعد البناءات الى الفترة التي غابت فيها الأسوار بصفة خاصة وهذا عند اختراع المدافع في القرن الثامن عشر .
فباتت الأسوار لا تجدي نفعا . كما ربما تكون الأمراض التي تنفثى من حين لآخر كالكوليرا وغيرها تأتي على الناس فيهجرون بعضهم بعضا .

2- **Bisson (J) ; Le Gourara étude de la géographie humaine .Institut de recherches Saharienne -2**
Université d'Alger . Pp 1634-165.

3- يقال له ابن سمية و عرف فيما بعد بابن أبي سفيان . يعتبر من دهاة العرب و خطبائها و من القادة الفاتحين المسلمين الذين يمتازون بحسن السياسة والحكمة ، و لاه علي بن أبي طالب إمارة فارس ، كما عينه معاوية واليا على البصرة و الكوفة . توفي سنة 672/هـ . قال فيه الشعبي ما رأيت أحدا أخطب من زياد . انظر ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبا الفضل) : الإصابة في تمييز الصحابة . المجلد الثاني . ج 4 و 3 . دار الكتب العلمية ، بيروت دت ، ص 42 رقم 2981 . كذلك الزر كلي خير الدين : الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب و المستعربين و المستشرقين . المجلد 3 . ط 11 . دار العلم للملايين ، بيروت 1995 . ص 53 .

جاء عن لسان ابن الربيع قوله " إذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة الأرضين ، فيتركونها و يهرب الزرع ، فتضعف العمارة و يضعف الخراج " (1) ، و هذا دليل ما بعده دليل عن أهمية الزراعة و ارتباطها الوثيق بالعمارة خاصة منها عمارة الصحراء .
أما الأمر الثاني فهو التوضع في مكان آمن توفيراً للأمن و تحصيناً لمنازلها من الأعداء . و على هذا فان القصر لم يكن له متسع من الأرض يسمح له باتساع عمرانه ، بل بقي منغلقاً داخل أسواره بحكم موقعه الجغرافي و إحاطته بالبساتين ، مما يدفع بالأهالي بهجرانه مع مرور الزمن و التخلي عن مساكنهم بحثاً عن أماكن شاسعة للاستقرار بها(2) . لذا حافظت معظم القصور على أصالتها وطابعها القديم .

2- علاقة القصر بالمدينة :

يواجه الباحثون صعوبات جمّة بخصوص تدقيق المصطلح المتداول ، فهناك من يطلق اسم المدينة على القصر و آخر يذكر مصطلح القصر دون سواه ، وعند الرجوع الى كتب الرحالة خاصة نجد هناك خلط و عدم تمييز بحيث أنهم يطلقون كلا التسميتين على نفس الموقع . لذلك بات البحث عن أوجه التشابه والاختلاف أمراً أساسياً للتمييز بينهما .

انه من خلال دراسة للقصور الصحراوية ، نجدها تتفق مع المدينة الإسلامية وهذا في الشروط الواجب إتباعها عند تخطيط المدينة والتي ذكرها ابن الربيع و المتمثلة في سعة المياه المستعذبة ، إمكانية الميرة المستمدة ، اعتدال المكان ، جودة الهواء ، القرب من

1- ابن أبي الربيع (شهاب الدين احمد بن محمد) : سلوك المالك في تدبير الممالك ، دراسة و تحقيق ناجي التكريتي ، ط 1 ، تراث عويدات ، بيروت-باريس 1978 . ص 152 .

2- يمكن أن يكون هجران القصور ناتج عن ظروف طبيعية كفقدان الماء أو الرمال مثلما هو الحال لقصر سيدي راشد بوادي ريف وقد يكون ناتج عن الاكتظاظ أو توفر الأمن خارج حدود القصر أو تفشي الأمراض أو غيرها من الأمور القاهرة التي لا مناص منها

المراعى و الاحتطاب و أخيرا تحصين منازلها من الأعداء و الذّعار، كما أن القصر و المدينة ينبثقان من أسس دينية بحتة(1) فنجد بالمدينة المسجد الجامع و بالقصر ضريح لولي أو زاوية ، أما فيما يخص أوجه الاختلاف فيمكن حصرها في أن المدينة بالضرورة ترتبط بالدولة أو الخليفة كما جاء عن لسان ابن خلدون " إن المدينة قرار تتخذة الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف و دواعيه " (2) ، و يضيف كذلك بقوله " .. واختطاط المدن لا بد من الدولة و الملك " وهذا يظهر العلاقة الأكيدة بين الدولة و المدينة و لعلّ خير مثال على ذلك مدينة بغداد. و على هذا فان المدينة هي المكان الذي يتوقّف على مباني ضخمة و مصانع و أسواق مع ضرورة توفر الصّيغة الإدارية و القضائية و الدينية و السياسية و قد عرفت في بعض المصادر الإسلامية بالهيئة الاجتماعية و التي تعد من السّمات الأساسية التي تميّز المدينة (3) . و المدينة كذلك تميّز باختلاط أجناسها في العرق و النّسب ، لذا ركّز المؤرخون على وجوب وجود حاكم بالمدينة . في حين يختلف القصر في هذه المعطيات ، فقد يتكوّن مجتمعه من قبيلة أو قبيلتين يرعى شؤونهم أهل الرأي و الجماعة (4) ، فهي تعمل على الصّلح و تسوية الأمور بين أهل القصر وفق قانون متعارف عليه (5). و قد تكلم الفرستائي عن أمور عدة يمكن يلجأ إليها قاطني القصر إلى الجماعة (6) .

- 1- Marçais.(G). L'urbanisme musulman. Cinquième congrès de la fédération des Sociétés savantes de l'Afrique du Nord . Tunis. 6-8 .Avril 1939 .Alger 1940. p14
2- ابن خلدون . نفس المصدر . ص 617 .
3- القرّ ويني (زكريا بن محمد) : نفس المصدر السابق . ص 7-8.
4- Masqueray(E). Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie. EDISUD. -4 Aix en Provence .1983.pp38-56.
5- نفس المرجع السابق . ص 318.
6- الفرستائي : نفس المصدر . ص 123.

و حكم الجماعة لا يتجاوز حدود القصر بينما حاكم المدينة فحكمه يتجاوز الأسوار و يمكن أن نلخص مجمل النّقاط المشتركة بين المدينة و القصر في هذا الجدول(1) :

المدينة	القصر
انبثق من المسجد الجامع	انبثق أو تطوّر من منطلق ديني: (ضريح .ولي.زاوية) .
نفسها .	وجود مداخل باتجاه الطرق التجاريّة
نفسها + أبواب بها معاني أخرى (باب النصر .باب السلام) .	سميت الأبواب نسبة الى الاتجاهات أو القبائل التي كانت تغد منها ، أو الى أشخاص أو أبواب ترمز الى شيء ما و هي قليلة (باب الغدر بتقرت)
ضيق الشوارع و التوائها .	ضيق الشوارع و التوائها .
الوسطية بالنسبة للجامع .	الوسطية بالنسبة للجامع .
وجود وسائل دفاعية (سور-خندق..).	وجود وسائل دفاعية (سور-خندق..)

وجود ساحات فسيحة (الرّحبات).	وجود ساحات فسيحة (الرّحبات).
وجود فنادق في بعض القصور .	وجود فنادق في بعض القصور .
تكتل وتراص الأحياء .	تكتل وتراص الأحياء .
يحكمها خليفة ذو نفوذ واسع يتجاوز حدود مدينته .	يحكمه شيخ البلدة أو الجماعة (نفوذها لا يتجاوز حدود الأسوار).

جدول رقم 02 يبين أهم النقاط المشتركة بين القصر والمدينة .

1- حملوي علي : نماذج من قصور.... ، ص 39.

3- أنماط القصور الصّحراوية :

من خلال الدّراسات المختلفة التي قام بها الكثير من الباحثين على القصور الصّحراوية ، حاولوا من خلالها تحديد أنماط مختلف هذه القصور . فمنهم من اعتمد على الشّكل العام لمختلف القصور وذلك بالتركيز على الأسوار، ومنهم من اعتمد على التّخطيط الدّاخلي للقصور معتمدا في ذلك على الشّوارع والأزقة ، ومنهم كذلك من لجأ إلى تنميط القصور الصّحراوية على التّركيز من وجود قسبة من عدمه ، و هناك من يرى توفر كل هذه النّقاط التي ارتكزت عليها الفرق السّابقة مع وجوب البحث عن الأدلّة الأثريّة

أ- أنماط القصور حسب المؤرّخ مارتان

لقد قام هذا الباحث إلى تقسيم القصور الصّحراوية إلى ثلاثة أنماط معتمدا في ذلك على الشّكل العام للقصر و النّصوص التّاريخية المتوقّرة كما أنه لم يولي أهمية إلى الجانب التّقني للقصر (1) .

النّمط الأول حسب هذا الباحث تعود إليه مجموعة المباني التي تعود إلى فترة الجيتول (2) ، و التي تقع حاليا على مسافات بعيدة عن أماكن المياه . وهي تمتد من فترة ما قبل التّاريخ إلى سنة 100م . ومن مميزات أنها مشيّدة على أماكن مرتفعة ولهذا تحمل اسم أورير للذكر و تاوريرت للأنثى ويعني ذلك الهضبة ، وقد و بنيت بمزيج من الحجارة الصّغيرة والكبيرة . و ما قصر تاوريرت برقان و قصر الشّارف بتموكتان ألا أمثلة على ذلك . ومن الملاحظات على هذا النّمط أنه تمّ هجره منذ زمن طويل . أما النّمط الثّاني فيمتد حسب نفس الباحث من 100م إلى 600 م ، و هذه المنشآت أحسن بكثير من منشآت النّمط

1- **Martin.A.G.P** . A la frontière du Maroc. Les Oasis sahariennes . (Gourara.Touat.Tidikelt). ed -1 . de l'Imprimerie .Alger. 1908 . pp 25.59.

2- الجيتول هم قبائل اشتهروا بالبدواة ، كانوا يتمركزون في إطار جغرافي فسيح يمتد عبر السّهوب و السفوح الجنوبية لمرتفعات الأطلسي و شمال الصحراء . للمزيد أنظر/ **شنيّتي (محمد البشير) : التّوسع الزّراعي الرّوماني وظاهرة البدواة في الجزائر** . مجلة الدّراسات التّاريخية، 1986، ع2 . ص 11 .

الأول و تقع في أماكن أقلّ بعدا عن مراكز المياه يحيط بها سور شبه دائري و مبني من الحجارة المسطّحة موضوعة بطريقة أفقيّة تشبه إلى حد ما التّقنية المستعملة في الجسور الرّومانية . في حين يرجع النّمط الثالث إلى معظم القصور التي أنشأت بعد القرن السّابع الميلادي و قد أعتمد الباحث على تأريخ هذا النّمط على ما تقدمه النّصوص التّاريخية من معلومات ، و تعود قصور القبائل البربرية الزّناتية و القصور العربية إلى هذا النّمط .

ب- أنماط القصور حسب كونار

اعتمد العقيد كونار على نفس المنهج الذي اتّبعه المؤرخ مارتان في تنميته للقصور الصّحراوية مضيفا التّقنيات التي تتعلّق بكلّ نمط (1) ، و قام هو كذلك بتقسيم القصور الصّحراوية إلى ثلاثة أنماط حيث يرى أن النّمط الأول يخص مجموعة الحصون التي تتوضع على قمم الجبال ، وتتخذ شكلا مستطيلا في تخطيطها تحيط بها أبراجا من الحجارة ، فيما لم يتم تحديد الفترة الزّمنية التي تعود إليها ، لذا تسائل هذا الباحث عن نسب هذه القصور هل هي تعود الى قبائل البربر أو الى أقوام مجهولين ؟

في حين يتّفق هذا الباحث مع سابقه في تحديد النّمط الثّاني في الفترة الزّمنية مضيفا بأن المباني تأخذ شكل مستدير تحتوي بداخلها على برج للمراقبة و يحيط بها سور يتقدّمه خندق ، اما التّقنية المستعملة فهي الحجارة الموضوعية بطريقة أفقية يفصل بينها صف من الحجارة مائلة و بطريقة متناوبة بشكل حرف (V) الاتيني ، و هو من المميّزات الرّئيسية لهذه المباني . اما النّمط الثّالث فهو يخص مجموعة المباني المشيّد من الآجر الغير مشوي و تحتوي على أضرحة تعلوها قباب دائرية الشّكل .

ت- أنماط القصور حسب عبد الرحمان أيوب

اعتمد هذا الباحث في تنميط القصور الصّحراوية على الشّكل الخارجي والتّوزيع الدّخلي للهيكل ، وتجدر الإشارة بالذّكر بان هذا الباحث ركز في دراسته على القصور المخصّصة للتّخزين ، و يرى انها تنقسم بدورها الى ثلاثة أنماط (2) .

1- Col.Quenard .Recherches historiques dans le Touat –Gourara. B.L.S.n° 2 .1950.p 19.

2- أيوب (عبد الرحمان) : "من قصور الجنوب التونسي . القصر القديم" . النقائش و الكتابات القديمة في الوطن العربي ، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، تونس 1988 . ص ص 130-136.

أما النّمط الأول فهو النّمط المستطيل (البربري) ، رغم انعدام الأدلّة فهو يرجّح على أنّه أقدم الأنماط نظرا للتّشابه الكبير بينه وبين الدّور الكهفية . يتشكّل القصر في هذه الحالة من مجموعة من الغرف متجاورة و مستطيلة الشّكل و تشيد فوق سطح الأرض أو منحوتة في الحجارة ، ومثال على ذلك قصر نالوت بليبيا ، والحدادة و مطماطة و غمراسن بتونس و تاوريت و قصر الشّارف و آغيل برقان (1) . في حين النّمط الثّاني هو النّمط المربع (الرّوماني) ، ويشبه هذا النّوع في تخطيطه كثيرا الحصون البيزنطية والرّباطات الإسلامية المبكرة ، كرباط سوس . و يعتبر أقلّ الأنماط وجودا بالمغرب الإسلامي ، و يعود ذلك ربما الى قلّة استعماله ، ومثالا على هذا النّمط قصر حاسي فقاير بقورارة و قصر ملوكة بأدرار (2) . أما النّمط الثّالث فهو النّمط

الدائري (العربي) ، اعتبر الباحث أن هذا النمط متطورا بالنسبة الى سابقه و هذا من حيث مساحة التخزين و توزيعها ، و تعود بداية ظهوره الى أواخر القرن (5هـ/11م) . و من مميزاته أن يحافظ على المواد المخزنة بطريقة أفضل(3) ، و مثال ذلك قصر المنبوعة القديم(4) .

ث- أنماط القصور حسب كابوراي :

يعتمد هذا الباحث في تنميته للقصور الصحراوية على التوزيع الداخلي لمختلف مرافق القصر (5) .

1- Col . Quenard . Op-cit.p.22.

2- عليق نابت(ر): قصر ملوكة بأدرار (إقليم التوات). دراسة تاريخية أثرية . بحث لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية . جامعة الجزائر . 2001-2002 .

3- أيوب (عبد الرحمان) : نفس المرجع . ص. 133.

4- حول قصر المنبوعة: Gal.A.Moinier. El -Goléa.Le Ksar el Harratin . Rev.afr. N° 50.1906.p 361.

5- Capot (Ray) . L'Afrique blanche française. Presse universitaire de France .Paris 1953.p18.

و يرى هذا الباحث ان القصور الصحراوية تنقسم الى نمطين أولهما يتميز بأزقة ضيقة وملتوية ، تنتهي في أغلب الأحيان بدروب حادة . و يرجع هذا الصنف الى القرن (5هـ/11م). واليه يعود قصر سيدي خالد ببسكرة . أما النمط الثاني فهو عكس النمط الأول بحيث يتميز بشوارع عريضة و مستقيمة ، والتي تتقاطع مع بعضها البعض مشكلة زوايا قائمة و يرجع هذا النمط الى القرن (10هـ/16م) . و قصر الدوسن ببسكرة المؤرخ في 1861م يعود الى هذا النمط .

ج- أنماط القصور حسب ج. بيسون

يشترك هذا الباحث مع كابوراي في تنميط القصور اعتمادا على مكونات القصر الداخلية . حيث ارتكز هذا الأخير على وجود القسبة من عدمه بالقصر دون تحديد الاطار الزمني(1) . و قد قام بتقسيم القصور الى اربعة أنماط أولها القصور التي بها قصبات تتوضع في مكان عال بحيث تشرف على جميع نواحي القصر ، اما النوع الثاني فلا يحتوي على القصبات و في هذه الحالة تكون أماكن الخزن ملاصقة للبيوت السكنية ، وهذا النوع عادة ما يكون صغير الحجم في حين يتميز النمط الثالث على احتوائه على قسبة واحدة أو عدة قصبات مع توفر مسجد ومدرسة قرآنية تتوزع حولهما البيوت التي تشغل الأماكن المنخفضة أما النمط الأخير فهي تلك القصور ذات الطابع الديني . و ما يميز هذا النوع أنه لا يحتوي على وسائل دفاعية كالأسوار والأبراج إذ أنه حسب الاعتقاد وليه الصالح هو الذي يقوم بحمايته ودفع الخطر عنه .

1- Bisson (J). Le Gourara. Etude de géographie humaine .Mémoire n°3.I.R.S. Université d'Alger . SD . pp. 166 – 168 .

ح- أنماط القصور حسب ايشالي.ج

لقد اعتمد هذا الباحث في دراسته للقصور الصحراوية على المراجع التاريخية و الأعمال الميدانية التي مست 133 قصرا كما اعتمد على الصور الجوية ذات المقاييس المختلفة ، ضف الى اللقى الأثرية (قطع فخارية ، بقايا فحمية و نباتية) التي تم جمعها ، و كل هذا أدى به الى تقسيم القصور الصحراوية الى ستة انماط(1). أول هذه الأنماط يعرف بمجموعة من المنشآت التي يبني سورها الخارجي على حواف هضبة صخرية غير مهذبة، و مبانيها منهارة ، بدون ان يتمكن هذا الباحث من تحديد الفترة الزمنية التي يعود اليها هذا النمط الذي بدوره ينقسم الى قسمين، القسم الأول منه يتميز بمنشآته الضخمة التي بنيت فوق مرتفع طبيعي دون أن يتم تعديله . و هو عادة ما يستغل لتخزين المنتجات الفلاحية و ملجأ للسكان عند الضرورة . يحيط به سور من الحجارة الكبيرة و الصغيرة و يتم ربطهم بمادة الطين ، وهو ذو شكل دائري أو شبه دائري . في حين يتميز القسم الثاني من هذا النمط بنفس المواصفات من حيث الموقع و شكل السور ، غير أنه أقل حجما و أحسن تقنية منه. تقام على سفح قرى مبنية من الحجارة و الطين مع وجود بقايا حدائق .

النمط الثاني حسب هذا المؤرخ يعود الى القرن (4هـ/10م) ، وهو يبدو أكثر تطورا من النمط الأول من حيث تقنية بنائه و هيكله كما أنه ينقسم هو كذلك الى قسمين ، أحدهما يشمل القصور المبنية فوق مرتفع طبيعي بعدما قام الأنسان بتهيأته ، يحيط به سور سميك دون تزويده بأبراج للمراقبة ، وهو ذو شكل شبه دائري أو ذو أضلاع منحنية و متعددة الرؤوس. اما القسم الثاني يشبه كثيرا القسم الأول ، تكون أسواره أكثر تحصينا و تكون مبانيه صغيرة و غالبا ما تكون عبارة عن أطلال . في حين يتميز النمط الثالث عن النمطين السابقين كونه أكثر اتقانا فهو يأخذ الشكل المستطيل أو المربع ، يحيط به سور يخلو باتا من الأبراج

الرّكنية ماعدا برجا أو برجين للمراقبة ، و غالبا ما يحاط بخندق ، و يتم الوصول الى المدخل الرئيسي بواسطة جسر . و يتميز بعمارته المتقنة التي تظهر في الزوايا القائمة و انتظام توزيع مواد بنائها المتمثلة في الحجارة الممزوجة بالطين كما أنه يعود الى القرن (7هـ/13م). أما النمط الرابع فهو يمتد من القرن(7هـ/13م) الى القرن (9هـ/15م)، تتميز مبانيه بالضخامة فقد شيدت بحجارة من الملح ممزوجة بالطين و بانعدام الأسوار به وهما الميزتان الأساسيتان لهذا النمط . في حين يتميز النمط الخامس الذي يرجع من نهاية (4هـ/10م) و يمتد الى (6هـ/12م) ، بانعدام القاعدة الصخرية و تقنية بنائه الغير متقنة ، و قد رأى هذا الباحث تقسيم هذا النمط الى قسمين ، أولهما يتكوّن من منشآت بنيت بالحجارة المغمورة داخل الطين ، يحيط بها سور مستطيل أو مربع خال من الأبراج . و يرى هذا الباحث ان هذا القسم يشبه النمط الثالث .

أما القسم الثاني من النمط الخامس فهو شبه القسم الأول إلا أنه يختلف عنه في احتواء سورته على الأبراج الركنية، التي عادة ما تكون مربعة أو هرمية و يعتبر نفس الباحث ان هذا القسم مشتق من النمط السادس ، هذا الأخير يعود الى القرن (9هـ/15م)، و يتميز بشكله المستطيل و استعمال الأجر الطيني الغير مشوي في بنائه، يتوفر على اروقة بها دكاكين للراحة ، كما أنه ينقسم بدوره الى قسمين ، احدهما يتميز بشكله المربع الذي يحيط به سور تنعدم به الأبراج و الممشى . و الثاني يشبه القسم الأول الا أن سورته يحتوي على أبراج و ممشى .

- الخلاصة :

إن تعدد الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى ظهور مستوطنة ما ، ومن ثم تطورها ، لا يمكن في أي حال من الأحوال أن تختص به مستوطنة عن أخرى خاصة وان نواة أي مدينة عظيمة أو دون ذلك مستوطنة صغيرة . كما أن ما تميزت به معظم المناطق الصحراوية هو ذلك النمط العمراني الذي يطلق عليه اسم القصور . حيث يحتوي على جميع المرافق الاجتماعية و الاقتصادية والدفاعية و هو يشبه المدينة الإسلامية في العديد من الجوانب كالتوافق في منهجية التخطيط الواردة في معظم المصادر التاريخية والجغرافية الإسلامية . و يتجلى الفرق في مجمله أن القصر يخص قبيلة أو قبيلتان عكس المدينة فهي هجين زالت منه الأنساب و بات صاحب المنصب أو المال أو العلم المقدم من أهلها ، كما أن المدينة لا تكون إلا بوجود الدولة والملك(1). في حين أن القصور مستقلة و لا تخضع إلا لسلطة الجماعة و لها أن تحكم في جميع القضايا سواء شخصية أو جماعية وفق قانون متعارف عليه ، كما أن القصور منغلقة على نفسها ولا يمكنها التوسع نتيجة الأسوار البساتين المحيطة بها فلذلك تبقى تتأرجح بين مرحلتين النشأة والنمو وأحيانا النضج دون الاكتمال . و خلال الدراسات المختلفة للباحثين والأثريين الذين حاولوا تقسيم هذه القصور وتحديد إطارها الزمني اعتماد على مواد وتقنية البناء و المرافق الدفاعية ، غير أنهم لم يستطيعوا ضبط الإطار التاريخي للقصور الصحراوية و الأكيد أنها تعود الى فترة ما قبل التاريخ و هو ما يؤكد النضج الحضاري والفكري لسكان مثل هذه المناطق . ويعتقد من خلال الأشكال المختلفة التي تأخذها القصور أن الشكل الدائري هو طراز محلي أي وليد البيئة الموجودة في حين ارجع الشكل المستطيل إلى المشرق ، حيث تبني أضلاعه وفق قاعدة فلكية مدروسة تتطلب مهارة وتقنية و مواد أكثر من الشكل الدائري وقد افترقت هذه الطريقة في المناطق الصحراوية(2) . إلا أن هذه النتائج تبقى رهينة الدلائل العلمية ، خاصة أن الملاحظ في معظم الدور الصحراوية تأخذ في أشكالها أشكالاً هندسية بحتة لم تبتعد كثيرا عن المربع و المستطيل ، ومن يخط داره على هذه الشاكلة فليس عجيبا أن يخط قصرًا أو مدينة ذات شكل مربع أو مستطيل .

الفصل الثاني

المسكن الواحائي و أنماطه

أولا - أنماط المساكن الواحية.

- 1- أنماط المساكن في واحات وادي سوف .
- 2- أنماط المساكن في واحات الأغواط .
- 3- أنماط المساكن في واحة مشونش .

ثانيا- مسكن سي الحواس

- 1- الموقع .
- 2- الموضع.
- 3- مخطط البناء .

أ- التوجيه

ب- السقيفة

ت- الرواق

ث- الفناء

ج- القاعات :

1-البيوت

2-الغرف

ح- المطبخ

خ- دورة المياه.

4- الضريح.

5- المصلى .

6- الزاوية .

ثالثا- أوجه التشابه والاختلاف بين الدور الواحية

أولا- أنماط المساكن الواحية :

من المعروف أن البنايات التقليدية الصحراوية القديمة تميّزت بميزات خاصة تفردت بها عن باقي أنواع البنايات الأخرى ، ويرجع ذلك للظروف الطبيعية التي تميزت بها هذه المناطق ، وعليه فإن هذا النمط من البناء التقليدي الذي أبدعه سكان المناطق الصحراوية وتفانوا فيه وذلك باستغلالهم للمواد الطبيعية المحلية في البناء واستعمالهم لتقنيات خاصة تتوافق وهذه الطبيعة سمحت لهم بالتأقلم والعيش العادي في هذه المناطق . و على هذا الأساس

يعتبر البيت هو الوحدة المعمارية الوحيدة التي يترك فيها حرية الاختيار عند إنشائها لصاحبها، ولقد ورد عن ابن قتيبة في هذا المجال قائلا " قال يحيى بن خالد لابنه جعفر حين اختط دارا ليبيها ، هي قميصك فإن شئت فوسعه وأن شئت فضيقه " (1) . وكذلك ما ورد عن الفرستائي بقوله " و أما أرض الرجل التي لم يشترك فيها مع أحد ، فإنه يبني فيها كيف يشاء " (2) . إلا أن هذه الحرية ليست مطلقة العنان بل حرية تامة دون أن تمسّ أو تلحق الضرر بالآخرين، وهنا نقصد بهم جيران صاحب الدار. وتوجز هذه الأضرار فيما ذكره الفرستائي بقوله " و لا يجدر في ذلك إلا ما يضر بجاره من الظل أو العلو على دار جاره ، أو ما أشبه ذلك من المجازات و ما لا يستغنون عنه من الطريق لمن يدخلها و من يخرج منها و من يأوي إليها و المقاعد التي يضر بها جاره " (3) ، و إن كلّ ما ذكر من مجازات نجدها مستمدة من تعاليم دين الإسلام الحنيف و من السنّة النبوية الشريفة ، بل تعدى كل ذلك في أن الحرية عند بناء الدار وتفصيل مرافقها تلتزم بالتعاليم الدينية و حتمية عدم إلحاق الضرر بالآخرين. وقد توسّع الفقهاء في هذا المجال بحيث

- 1- ابن قتيبة (أبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري). كتاب عيون الأخبار، المجلد الأول، ج3، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.ص. 311.
- 2- الفرستائي (أبو العباس أحمد) : القسمة و أصول الأرضين ، تحقيق و تعليق وتقديم الشيخ بكير ومحمد الصالح ناصر ، ط2 ، نشر جمعية التراث القرارة . 1997 . 234 .
- 3- نفس المصدر السابق ، ص 234 .

بحيث لم يتركوا أي مجال من مجالات العمارة خاصة المدنية إلا و أفقوا فيه(1) . إن الدور في واحة مشونش مثلها مثل باقي الدور الصحراوية تتقيد خلال عمليات اختطاطها بالنظم والتعاليم الإسلامية ، و اختلفت فقط في حجمها و مساحتها على حسب منزلة أهلها أو حاجتهم ، فمنها الكبير و منها الصّغير و منها المستقل بذاته ومنها المتراص . و على العموم فمن حيث تخطيطها العام ، الذي عادة ما يكون مستطيلا أو مربعا ، و أحيانا أخرى يأخذ شكلا غير منتظما ؛ أو من حيث هندستها و ما تحويه من عناصر مختلفة على حسب الحاجة أو الظروف المعيشية والمناخية(2) . وعلى هذا الأساس قمنا باختيار نماذج لبعض الدور، الواقعة في واحة مشونش ومقارنتها ببعض الدور الواقعة في واحات سوف و الأغواط ، صف إلى النموذج محل الدراسة و كل ذلك لمعرفة جوانب الاختلاف والتشابه فيما بينها .

1- لقد توسع الفقهاء في هذا المجال ولم يتركوا بذلك أية مرفق إلا و قنونه و مثال ذلك موضع بيت الدابة ففيما أشار ابن الرّامي الى هذا المعنى عند ذكر أن " الجار يمنع من إحداث الإسطبل عند بيت جاره لما فيه من الضرر من بول الدواب و حركتها بالليل والنهار و الحركة المانعة من النوم " انظر ؛ ابن الرامي. الإعلان بأحكام البناء . ص390. كذلك هناك من أعطى للجار حق التدخل ، ومنعه بتاتا إذا ما تطلب الأمر ، وهو ما يبدو واضحا فيما أورده الفرستائي بقوله " و لكن الجار يمنعه جاره ألا يجعل عليه الظل بينانه ، سواء في ذلك الظل الذي يمنع منه الشمس عند طلوعها أو عند غروبها " الفرستائي . القسمة، ص ص 234-235. للمزيد من المعلومات في هذا الصدد انظر :

-Abdel Malek (H) : Influence du droit musulman sur l'organisation de l'espace urbain . Mémoire pour l'optent ion de magister en urbanisme . EPAU . Alger . 1991 .

1- دور واحات سوف : (شكل 4+3+2+1).

تقع واحات وادي سوف الى الجنوب الشرقي من الجزائر ، وتبعد عن العاصمة بمسافة 700 كلم تقريبا. وتتميز بطبيعتها القاسية ومناخها الصحراوي ، مما فرض على أهلها نمط معيشي معين انعكس على نمط بناء دورها . فعادة ما تأخذ دور واحات سوف الشكل المستطيل (20م/10م) وأحيانا مربعة (10م/10م) عندما تكون موجهة للأستعمالها في أشهر الحرّ أو أصحابها من البدو الرحل(1) . أما فيما يخصّ تخطيط هذه الدّور فهو من أبسط المخططات حيث قال فيه (اشالي) " دور سوف تتميز بمخطط بسيط على العموم، تطلّ على جميع أرجائه الشّمس ، و بدون شكّ فهي الأكثر صحيا بين عموم الدّور الصحراوية " (2) . و تتميز على العموم دور هذه المنطقة بالاستعمال تقنية التّسقيف بالقباب ، فعادة ما تغطي كل قبة غرفة من غرف الدّار . و قد نجد في دور الخاصة قبتين الى ثلاث قباب تغطي الغرفة الواحدة ، تدعّم من الدّاخل بأعمدة أو أقواس . و هناك الغرف المستطيلة التي يتمّ تغطيتها بسقف اسطواني . و لعلّ استعمال تقنية التّسقيف بالقباب عوض السّقف المسطح هي تقنية اختص بها أهل المنطقة عن غيرهم وكان الغرض من ذلك هو التّخفيف من شدّة تعرّض الأسقف لأشعة الشّمس ، وبذلك التّخفيف من درجة الحرارة داخل المسكن ، وعلى هذا فان معظم دور هذه المنطقة إن لم نقل جلها تتكوّن من طابق واحد . و كل دار من هذه الدّور سواء كانت تستعمل للإقامة الدائمة أو المؤقتة ، يتوسطها فناء مستطيل الشكل نجد في وسطه بئر ، وأحيانا تكون هذه البئر خارج الدّار ، تطلّ عليه جميع غرف الدّار . ندخل إلى الدّور السّوفية عبر بوابة خشبية و وحيدة ، عادة ما تكون مصنوعة من خشب النّخيل ، يقابلنا مباشرة حائط يدعى بجدار الحجة . و الغرض من هذا الجدار هو حماية ما في داخل الدار من أن ينظر إليه من الغرباء . و أحيانا يؤدي بنا المدخل مباشرة الى رواق عريض يدعى بالسّقيفة . والتي منها نلج الى فناء الدّار مباشرة . أما فيما يخصّ الغرف ، فهي عادة ما تكون مربعة أو مستطيلة الشكل ، موزعة على جوانب الفناء و كلها مفتوحة عليه . والغرف الواقعة في الشّمال فهي مخصصة لأهل الدّار ، أما تلك الموجودة في الجنوب فجلها مخصص للمؤونة و بيت الدّواب (3) .

Voisin (A.R) . Le Souf . p168.

-1

-Echallier .L'Architecture du Sahara Le Saharien . n°46 . 2eme tri 1967. p 12.

-2

Voisin (A.R) . op-cit . p168

-3

أما في الدّور الصّيفية فلا نجد بها سوى تلك الواقعة في الجنوب(1) . عادة ما يقابل الوحدات المعمارية الموجودة في الجهة الجنوبية ممر تغطيه أقواس ، حيث تقضي الأسرة أوقاتها تحت الظلّ هروبا من حرّ الشّمس أو العكس حسب الفصول . أكبر وحدة معمارية في الدّور السّوفية

هي المطبخ ، الذي نجده مزود بمراوح مخصصة لوضع مختلف الأواني . أرضية الغرف عادة ما تكون غير مغطاة بفرش من الملاط حيث في هذه الحالة يقوم أهل البيت بفرش حصائر على الأرضيات أما في دور الخاصة فقد نجد الأرضيات مكسوة بطبقة من الملاط الكلسي . مواد البناء المستعملة نجد أن أكثر مادة تستعمل في مثل هذه المناطق هي مادة الجبس ، و ذلك لما توفره من مميزات فيزيائية مقاومة للحرارة ، ضف إلى ذلك أنها قابلة للزخرفة ، حيث نجدها تستعمل كمادة لاحمة وفي نفس الوقت مادة تكسية . و قد غابت الحجارة المتوسطة أو الكبيرة وهذا مرجعه الى عدم توفرها في هذه المواقع . فاستبدلت بالحجارة الصغيرة (الدبش) أو مادة الطوب .

2- دور واحات الأغواط : (شكل5+6)

تقع واحات الأغواط إلى الجنوب بحيث تبعد عن العاصمة بحوالي 448 كلم . تتميز بمناخ قاري الذي يتميز بصيف حار و شتاء بارد جدا ، و بتضاريس اشتملت على الوديان و الجبال ، وهي كذلك منطقة فاصلة بين الأطلس التلي والصحراوي ، وكان لكل هذه العوامل التأثير الكافي على نمط العمارة في المنطقة. و غالبا ما تأخذ الدور في هذه الواحات الشكل المستطيل أو المربع ، و أحيانا أخرى تأخذ شكلا غير منتظما الأضلاع تنعدم به الزوايا و يكون هذا في حالة الدور المتراسة، أو من حيث مواد البناء التي تستجيب للظروف المعيشية و المناخية(2) . و تتميز دور واحات الأغواط بالبساطة والتناسق بحيث أنها تخلو من جميع مظاهر الترف و تستجيب فقط لمقتضيات البيئة الموجودة فيها(3) .

1- ربما يرجع ذلك الى درجات الحرارة المرتفعة في الصيف تترك أهل المسكن يقضون ليلتهم في فناء الدار ، الذي يكون عادة مغطى بمادة الرمل .

2- للمزيد حول هذه الدور انظر: Adam (A) – op-cit. pp 282-362

3- الدولاتي عبد العزيز: نفس المرجع . ص 158.

و هي غالبا ما تتكون من طابق واحد أو طابقين . فالنوع الأول نلاحظه في دور العامة، أما النوع الثاني فهو يخص الطبقة الخاصة ، وقد نجد كذلك في دور العامة دورا ذات طابقين وهذا لا يتعدى أن يكون لقلّة مساحة داره مقارنة مع عدد أفراد الأسرة فدفعته الحاجة إلى التوسع عموديا . أما فيما يخص مواد بنائها فقد استعملت الحجارة الكلسية في أسس المباني، و في المباني كلها في الدور الخاصة نظرا لقيمة تكلفتها ، في حين استعمل الطوب المجفف في غالبية مساكن العامة و يقول العقيد أرنو واصفا مباني الأغواط بقوله " ..كلها مبنية من الطوب المجفف و ذات لون بني مما أعطى للمدينة جوا من الحزن والكآبة " (1) . و من مميزات الدور في واحات الأغواط أنها تشترك في استخدام المواد الخشبية من أشجار العرعار و النخيل والصفصاف و الرّتم، سواء في التسقيف أو الأبواب أو غيرها من المواد الخشبية . يحيط بكل البيوت جدار يخلو من الفتحات ما عدا المدخل الذي عادة ما يكون موجه نحو الشرق و المغزى من ذلك هو استقبال الرياح المشبعة بالبرودة(2) . أو تفتح على الأزقة المغطاة تخفيفا من حدة أشعة الشمس و هذا في حالة البنايات المتراسة ، على أن لا يجب أن تكون متقابلة مراعاة لحرمة بعضها عن البعض .كما تتميز جلّ الدور الصحراوية من الدّاخل بتصميم يتلائم والظروف المناخية ، وهو ما دفع سكان منطقة الأغواط إلى انتهاج السبل التي تكفل لهم حماية كافية من هذه العوامل(3).

- 1- يعد العقيد أرنو احد الشخصيات العسكرية التي شاهدت قصر الأغواط قبل أن يطراً عليه أي تغيير و هذا أثناء حملة الجنرال ماري مونج بتاريخ 28-05-1844 على المنطقة للمزيد راجع : . Paris . t1 . **Lettres du Maréchal de St Arnaud** .
2- ترى الكثير من المصادر التاريخية و خاصة منها الإسلامية من ضرورة توجيه المداخل والفتحات نحو الشرق و هذا لاستقبال الصبا، فانه أصلح للأبدان لسرعة طلوع الشمس ، للمزيد انظر : ابن قتيبة : عيون الأخبار...ص 313.
3- **الخولي (بدر الدين)** : المؤثرات المناخية و العمارة العربية . الجامعة العربية ببيروت.1975.ص46.

فقد تميّزت المداخل بالنظام المنكسر(1) و هي خاصة تفرّدت بها الدّور الإسلامية عن غيرها.و الهدف من هذه التّفنية ليس فقط حماية حرمة الدّار بل هو إمكانية ترك الباب الخارجي مفتوحا، لخلق تيار هوائيا ينعش من بداخلها . هذا النّظام قد يكون بمجرد بناء جدارا منخفض وراء المدخل مباشرة أو ببناء بهو يدعى بالسّقيفة الذي منه نلج إلى وسط الدّار المتمثّل في الفناء ، الذي يعتبر من أهمّ العناصر المعمارية في العمارة الإسلامية ، فهو يمدّ الغرف بالنّور والهواء ، ضف إلى ما دور الاجتماعي والتنظيمي للأسرة(2) . يحيط بالفناء من الجهتين أو الجهات الأربعة أروقة ذات فتحات متسعة تساعد على تلطيف الجوّ(3) . و قد تميزت الغرف في مثل هذه المناطق بشكلها المستطيل و بضيقها فهي لا تتجاوز نسبة 1/2 وهذا لتسهيل عملية التّسقيف . كما تتميز بعدم وجود الزّوايا القائمة و عدم استقامة جدرانها وهي ظاهرة في معروفة في الدّور الإسلامية منذ وقت مبكر(4) . ضف الى خلو الغرف من الفتحات ما عدا باب المدخل مما يساعدها على اختزان الهواء البارد لفترة طويلة من اليوم و هذا صيفا و العكس شتاء ، كما تخصص غرفة من هاته الغرف لتستغل لتخزين قوت العائلة وتدعى ببيت المئونة، و تختار الغرف البعيدة ، و هذا عن أعين النّاس الغرباء(5) . أما في يخصّ المطبخ فعادة ما يشغل احد زوايا الدّار و يزوّد بمدخنة على غرار ما عرفته الدّور الإسلامية(6) .

- 1- **Brigol.(M)**. L'habitat des nomades sédentaires à Ouargla .T.I.R.S.T16.1957.p190. -1
2- **Kassab (T)**. op-cit . pp 51-57. -2
3- يعرف بمنطقة ورقلة بالسلام و بوادي ريغ بالساباط و بتوات بأسكلو وتاهجة بمنطقة الأغواط .
4- **Gabriel (A)**. Les fouilles d'al -Fostat et les origine de la maison arabe en Egypte .Paris -4
1921. p107.
5- حملاوي(علي) : نماذج من قصور...، ص 249.
6- شافعي (فريد) : العمارة العربية في مصر ...، ص 433.

و إذا كانت الدّار مكوّنة من طابقين فنجده في الطّابق السّفلي ، و تجدر الإشارة بالذّكر بأنّ المداخل بهذه المنطقة لا تقتصر على المطبخ فيمكن أن نجد الغرف كذلك مزودة بمداخن و هذا راجع إلى البرودة الشّديدة في فصل الشّتاء . أما فيما يخصّ الملحقات الصّحية في دور واحات الأوغاط ، فهي تقع في أماكن معزولة من الدّار ، وهي عبارة عن قاعة مستطيلة الشّكل يصعد إليها بأدراج ، تحتوي على ثقب أو خشبتين موضوعتين بطريقة طولية للجلوس عليها ، و عادة ما تطلّ مثل هذه العناصر المعمارية على الشّارع لكي لا تسبب الأذى للجيران ويتم تفرّغها من الحين للأخر حيث تستعمل تلك البقايا كسماد للأراضي الفلاحية .

3- أنماط المساكن في واحة مشونش : (شكل 7،8)

تتكوّن بيوت واحة مشونش بصفة عامة من طابق أو طابقين و قد نجد أكثر من ذلك بحيث لا يتجاوز الثلاثة طوابق ، و هي قليلة و تخصّ الخاصة من السّكان . فأما الدّور ذات الطّابق الواحد فهي عادة ما تخصّ العامة من ذوي الشّأن البسيط و قد تكون مستقلة بذاتها أو متلاصقة ، و قد نجد من دور العامة من يملك دارا بطابقين و هذا لا يضيف على صاحبها قيمة اجتماعية أكثر ما يعكس ضيق مساحة داره ، فدعته الحاجة الى التّوسع ببناء طابق ثاني ، كما أن مساكن العامة تتميّز عادة بقلة تناسقها و صغرها و كثيرا ما تكون مجتمعة في بناء متراص و هذا ما نستخلصه من تقرير أحد الجنرالات الفرنسيين المحرر سنة 1844م عند محاولة احتلال قرية مشونش(1).

1- لقد ورد في تقرير احد الجنرالات وهذا عند محاولة اقتحام منطقة الأوراس عبر البوابة الجنوبية وهي واحة مشونش وذلك سنة 1844 م بقوله " إنهم مرتبطون بأرضهم ومساكنهم وفلاحتهم ونخيلهم ، ولا يستطيعون التنقل والرّحيل كقبائل الرّحل ويدافعون درجة بدرجة فوق صخورهم ، ورجلا برجل على سطوح منازلهم المتلاصقة ، تخالها وكأنها شرفات بعضها فوق بعض" للمزيد انظر: L'Armée d'Afrique . 213. : -Guesoy (F).

صف الى كل ذلك عدم مراعاة الجودة أو التّناسق في اختيار مواد بنائها فنجدها مزيجا بين الحجارة الغير مهياة والطّوب. كذلك حتى حين استعمال الأخشاب خلال عمليات التّسقيف يقوم أهلها كذلك بإدراج المتوقّر و المتاح منها كخشب النّخيل مع خشب المشمش أو غيره، دون مراعاة بذلك التّنظيم ، و إن دلّ هذا الأمر إنّما يدلّ على قصر وقلة حال أصحابها. بحيث أن تقنية التّسقيف المعروفة في المنطقة هي الأسقف المسطحة و التي تستعمل دون سواها ، في حين تتميّز دور الخاصة بكبر حجمها وتناسق بنيانها وأحيانا كثيرة كبر مساحتها و لكن ميزتها الأساسية هي انفرادها وعدم وجودها داخل التّكتلات السّكانية ، اللّهم مباني الأقارب أو الحاشية أو الخدم أو الرّعاة و التي قد تلتصق أو تحيط بالدّار الأم . إضافة الى كل هذا وجود مثل هذه

الدور في أماكن مرتفعة تطل بذلك على بساطينها و أحيانا أخرى تكون بداخلها. صف إلى كل هذا فان الملاحظ في هذه الواحة أن التجمعات السكنية المترامية هنا وهناك لم تكن نتيجة التضاريس التي تميز المنطقة فحسب بل مرجعه الأساس إلى الانتماءات العرقية القبلية التي تنتمي إليها أصحاب هذه المساكن و بذلك باتت كل عائلة كبيرة و ربما في حالات نادرة قبيلة فذلك نجد أولاد بوراس ، أولاد داود ، أولاد بنوسلمان كل يشكل تجمع في المنطقة مما يوحى إلى العقلية القبلية التي مازالت تسود في المنطقة و في ربوع العديد من الأماكن من البلاد العربية . وعلى العموم فان جميع دور واحة مشونش تقريبا تقع على ضفاف واد الأبيض وروافده مختارة بذلك أرفع الأماكن هروبا من الفيضانات التي كثيرا ما تجتاح هذه المنطقة.

عادة ما تتوفر دور واحة مشونش على مدخل واحد يكون كبيرا نوعا ما بحيث يسمح بدخول دابة محملة بشوالين . و قلّ ما تغيب السقيفة أو جدار الحجة في هذه المنطقة ، وان غاب يقابل في هذه الحالة الباب الرئيسي حائط الفناء من الداخل . أما فيما يخصّ الغرف فهي عادة ما تأخذ الشكل المربع تطلّ جميعها على صحن الدار ، يتراوح عددها من غرفتين فما فوق حسب منزلة وعدد أفراد الأسرة تزوّد بنافذة صغيرة للتهوئة و الإنارة . و تخصص إحدى هذه الغرف كمطبخ للعائلة و في حالات تستغل كذلك للنوم أيضا.

و بيت أخرى تستغل كمخزن فعادة ما تكون بعيدة عن الأنظار أو في السطح ، وتزود هذه البيت أو الغرفة بمراجع و معالق تستغل لوضع وتعليق المون . في حين تستغل إحدى بيوت الدور كإسطبل و في حالة الضيق يمكن أن يخصص مكان في الفناء . ما في يخص بيت الخلاء فهي شأنها شأن هذا النوع من المرافق في الدور الإسلامية ، فهي تأخذ أحد زوايا المسكن ، وتكون عبارة عن غرفة مستطيلة الشكل تتكون من طابقين يصعد الى الطابق العلوي بواسطة سلم أما الطابق السفلي فهو معلق تماما يفتح من الحين الى الآخر لإفراغ محتوياته . وأحيانا أخرى تكون بيت الخلاء هذه مفتوحة بدون باب ولا سقف و في هذه الحالة يحل محل الباب غطاء أن رفع فبيت الخلاء فارغة وان انزل فيعني أن هناك من قضي حاجته .

ثانيا- دار سي الحواس (شكل 9+10+11+12)

أنه من خلال هذه الدراسة بذلنا كل مجهودنا لتحديد عمر هذه الدار و لو بالتقريب و في غياب أي مخطوطات أو دراسات حولها انتهجا سبيلين أولهما الرواية التي تحصلنا عليها من عمّ الشهيد و هو سي الهادي حمودة الذي حدثنا قائلا " لقد ولدت خلال سنة 1914 و ترعرعت بهذه الدار و كان أبي يدعى محمد أمقران حيث توفي و أنا ابلغ من العمر أربعة سنوات و هذا سنة 1918، وقد أشرف أخي الأكبر و هو عبد الرزاق على تربيته والعناية بي ، و كان يفوقني من العمر ب30 سنة ، و قد ولد هو كذلك بهذه الدار و توفي ودفن فيها و كان ذلك في سنة 1937 . و في سنة 1932 قام بتزويجي و قسم الدار بيننا ، و بقينا بهذه الدار إلى غاية سنة 1952 ، ارتحلنا إلى فرنسا تاركا أهلي بمدينة بسكرة و ذهب أهل الحواس إلى مدينة باتنة و بقيت الدار مهجورة إلى غاية إنشائها متحفا للثورة بعدما وهبها أولاد سي الحواس للقطاع العام ، بينما القسم المخصص لي كنت من الحين إلى الآخر أقوم بكرانه إلى غاية سنة 1990. و بعدها بقليل جعلتها هبة لتدخل هي كذلك مع المتحف. " . وعلى هذا و بعملية بسيطة نجد من الوهلة الأولى أن هذه الدار كانت مبنية سنة 1888 م ، و هي سنة ولادة أب الشهيد ، و في هذه الحالة يكون عمر 120 سنة هذا من جهة . أما من جهة ثانية فقد قمنا بعملية مقارنة الأحداث والوقائع ، و اعتمدنا في ذلك على تأريخ الأحداث وربطها بالموقع . من المعلوم انه يوجد بهذه الدار غرفتين أخذنا اسم

كل من الأخوين إبراهيم بن الصادق بالحاج وأخوه الطاهر بن الصادق بلحاج و من المعلوم أن ثورة مشونش التي جابه فيها الثوار المستعمر الفرنسي كانت بقيادة إبراهيم بن الصادق بلحاج تحت لواء خليفة الأمير عبد القادر ، و قد شارك في معركة سريانة الى جانب أبيه وأخيه . وسريانه هذه لا تبعد عن مشونش إلا 15 كلم ، و شاركوا كذلك في ثورة الأوراس من 1858 الى 1859 أين تمّ أسرهم وصدر في حقهم الإعدام في بادئ الأمر ثم النفي المؤبد ، حيث توفي والدهم في سجن سرکاجي بالعاصمة سنة 1862 . وعلى ذلك فان الفترة التي كان يرتاد فيها الدار هو أخوه تمتد في أقلّ تقدير من سنة 1844 و تنتهي سنة 1859 م وهنا يصل عمر الدار 149 سنة .

1- الموقع :

تقع دار سي الحواس في الضاحية الشمالية الشرقية لقرية مشونش ، و التي تسمّى بحي الرّمل و هو مسكنا منفردا ، و في الأصل تعود ملكيته إلى الجد محمد أمقران بن إبراهيم بن حمودة . هذه الدار تتكوّن من كتلتين مستطيلتي الشكل متّصلتان ببعضهما البعض ببيت صغيرة المساحة تحوي رفاة بعض أفراد العائلة. الكتلة الأولى تبلغ من المساحة حوالي 340 م² خصصت كلها لأغراض العائلة ، تتكون من طابقين ، يملك الشّهيد الحيز الأكبر ، حيث تقدر مساحة داره ب 196م² ، بحيث أن كل منافذ الدار تطلّ على حديقة المسكن . فيما تتشكّل الكتلة الثّانية من المصلى و الزّاوية القرآنية و هي على طابق واحد .

2- الموضع :

نظرا لطبيعة تضاريس واحة مشونش التي تتميز بعدم استوائها وكثرة المرتفعات و المنخفضات بها ، بحيث أن هذه الواحة تقع داخل هوة تحيط الجبال بها من كل صوب ، يتعرّجها وادي الأبيض و كثيرا من روافده التي تشعبت في كافة أرجاء الواحة دفعت سكان المنطقة الى اختيار أعلى الأماكن لبناء مساكن لهم هروبا من الفيضانات المتكرّرة ، لكن ليس بعيدا عن بساتينهم ولا على مجرى الوادي الذي يمدهم بما يحتاجونه من مياه للشرب أو للسقي ، و دار سي الحواس حالها كحال باقي الدور في المنطقة فهي تتوضع على ربوة تعلو مستوى أرضية الحديقة بثلاثة أمتار تقريبا ، وهذا الموضع المرتفع

ليس فقط لتوفير مجال رؤية أحسن يسمح بحراسة جيدة للبستان أكثر منه تفاديا للفيضانات التي عادة ما تمسّ المنطقة. و بشكل عام تتوضع جل سكنات المنطقة على ضفاف الوادي الأبيض الذي يقسم الواحة الى قسمين و يعتبر القسم الشمالي منها و الذي يظّم حي القرارة ، الرّمل ، زقاغة ، قرن عباس ، البليدة ، مريشي ، سيرير الغرس أو حي السّوق و ماشكال أقدم من القسم الجنوبي الذي يعتبر امتدادا لواحة مشونش خلال الفترة الاستعمارية .

3- مخطط البناء :

من خلال المحادثة التي جمعنا مع سي الهادي حمودة حدثنا قائلا: " ...
في سنة 1932 قام أخي عبد الرزاق بتزويجي و قسم الدار بيننا ، و هذا ببناء جدار فاصل ،
حيث أصبح لي مدخل خاص بي وهو الباب الصغير الموجود الى يومنا هذا ، و قد كان بيت
الخلاء الخاص بالدار الكبيرة في الطابق العلوي بقسمتي فقامت بتهديم الغرفة التي كان بها و
بنيت غرفة بدلا منها وجعلت بيت الخلاء الى جانبها ، أما أخي عبد الرزاق فكان لا بد له أن
يبني بيت خلاء خاصة لهم فقام بإنشائها بالقرب من مطبخه بالطابق العلوي ... و أن الدار
منذ أن هاجرت الى فرنسا سنة 1952 وهي مهجورة لا يقطنها أحد خاصة واني بت أقطن
ببسكرة ، أما أهل الشهيد فقصدا مدينة باتنة و بقيت دارهم مهجورة لا يقطنها أحد منذ ذلك
الوقت الى باتت متحفا للثورة ، بينما القسم المخصص لي كنت من الحين إلى الآخر أقوم
بكرائه إلى غاية سنة 1990، بعدها بقليل جعلتها هبة لتدخل هي كذلك مع المتحف . "(1) و
من هذه الشهادة الحية عن تاريخ الدار ، يمكن القول بأن الدار قبل سنة 1932 كانت دارا
واحدة تخص الأخوين الهادي وعبد الرزاق ، إلا انه عندما تزوج سنة 1932 قام أخوه عبد
الرزاق بتقسيم الدار مناصفة بينه وبين أخيه الصغير وبذلك بنا جدارا بين القسمتين و تم فتح
بوابة جديدة تخص الأخ

1- محادثة وقعت مع سي الهادي حمودة بتاريخ 20-05-2008.

الصغير ، و الذي ما زال الى يومنا هذا . وبحكم أن بيت الخلاء للدار الكبيرة كان موجودا في
قسمة الأخ الأصغر فقد توجب على والد الشهيد ببناء بيت خلاء لعائلته ، فقام بإنشائها بالقرب
من مطبخه ، وفي سنة 1937 بعد وفاة والد الشهيد تم دفنه في القبر الموجود بالسقيفة . ومنذ
تلك السنة باتت الزاوية والمصلى مكانا محظورا على زائريه و أصبح يخص العائلة فقط .
وهجرت الدار نهائيا من قبل أهلها الأصليين منذ سنة 1952 الى غاية يومنا هذا و باتت متحفا
و من المعلوم أن دار سي الحواس هي الجزء الأكبر من دار الجد محمد أمقران حمودة
خصصت كمتحف للثورة و عليه سوف نخصص هذا المبحث لدراستها .

أ-التوجيه

يقول تعالى " و ليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها و لكن البر من
اتقى ، و أتوا البيوت من أبوابها و اتقوا الله لعلمكم تفلحون "(1) ، من خلال هذه الآية الكريمة
يتبين لنا أن جميع المنازل لها مداخل رئيسية تنفذ منها من داخل وخارج الدار و تكون ظاهرة
متميزة عن غيرها من المنافذ ، كما أن أهم ما يميز المباني الجزائرية الأصيلة قلّة احتوائها
على النوافذ(2)، و هي نفس الخاصية التي تميز مسكن سي الحواس ، بحيث نجد نافذتين
صغيرتين فقط في الواجهة الأمامية للمبنى(3) ، و كليهما في الطابق العلوي تطلان على
البستان أو الجنان كما يصطلح على تسميته في منطقة الزاب و الصحراء عموما

1- الآية 187 من سورة البقرة .

2- عقاب (محمد الطيب): قصور مدينة الجزائر في العهد العثماني.رسالة دكتورا. الحلقة الثالثة. الجزائر 1982. ص145.

3-تنتشر مثل هذه المباني في الوطن العربي ، فنجد أن كل مسكن يمثل وحدة لها منفذ واحد وهو المدخل الرئيسي بحيث يصبح المسكن وكأنه قلعة منيعة و قليلا ما نجد النوافذ تطل على الشارع خاصة في المدن و يعوض ذلك بجعل النوافذ داخلية تطل على صحن الدار الذي تحيط به الغرف من جميع الجوانب . راجع كذلك - الريحايوي (عبد القادر) . البيت في المشرق العربي. ضمن مجموعة أبحاث المؤتمر العاشر للآثار العربية. تلمسان(15-18)نوفمبر1982.

أما الطابق السفلي فلا نجد فيه إلا المدخل الرئيسي للدار و الذي يتميّز بأنساعه وكبره مقارنة مع الأبواب الأخرى ، وهو المنفذ الوحيد نحو الخارج باتجاه البستان ، يتكون من مصراعين صنعا من خشب النخيل ،خالي من الزخرفة ، مزود بقفل خشبي بسيط ، يدور على محاور ، وهي خاصية تتميّز بها مداخل الدّور في المناطق الجنوبية(1) ، وهذه الطّريقة عرفت منذ القديم عند شعوب العالم بما فيهم المسلمين أيضا . جزئه العلوي غائر في الجدار أو في الخشبة التي توجد فوق الباب وهي ساكف الباب(2) . أما الجزء السفلي منه فهو غائر في الأرض ، ويكون مثبتا في ثقب حجرة من حجارة الأرضية (العتبية) ، و يمكن أن نجد طريقة ثانية متمثلة في إضافة قطعة خشبية مدببة مشكلة بذلك محور الدّوران . و البوابة الرئيسية لهذا المسكن تعرضت هي كذلك الى عملية تجديد كاملة شأنها شأن الدّار ، بحيث غاب القفل الخشبي و عوض بقفل معدني حديث . و غابت محاور دوران الأبواب و عوضت هي كذلك بأدوات حديثة ، تفتح على بهو يسمّى بالسقيفة ، و ظلت تحتفظ هذه البوابة الرئيسية سوى على أبعادها المتمثلة في عرض يقدر ب 1.5متر و مترين طولا .

ب- السقيفة

تفتح البوابة الرئيسيّة على بهو يدعى بالسقيفة ، و يقابلها مباشرة جدار ، وهناك من يطلق عليه جدار الحجة ، و تسمى هذه التقنية بالمدخل المنكسر والغاية منه هو أنه يكسر نظر الدّاخل أو من كان واقفا أو مارا أمام الباب، و منعه من مشاهدة ما بداخل الدّار(3) . و هي إحدى مكونات المسكن الرئيسية(4) ، تتراوح أبعادها ب(2.5متر عرضا و 5.50 طولا و 3متر علوا) ، و هي بذلك مستطيلة الشكل لا توجد بها نوافذ ، تستغل للجلوس و استقبال الضيوف والسائلين العابرين . كما أنها تعتبر الفاصل بين خارج وما بداخل المسكن(5) .

-Echallier .(J.C). Essai sur l'habitat sédentaire traditionnel au Sahara algérien .Paris/1. 1968.p142

Maunier.(R). La construction collective de la maison en Cabylie . Institut d'Ethnologie/2 .Paris.1962 . p 53

-- VOISIN (A.R) . Op.Cit . p 168 . 4-3
حملوي (علي) . نماذج من قصور منطقة الأغواط. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.الجزائر2006 .ص.245

-5- Noweir.(S).et De Paule.(J.CH). La maison et son usage.Architecture .Mouvement Continuité v48.pp 74-76.

و يأتي على يسار كل من يدخل الى السقيفة ، قبر يخص والد الشهيد و هو الشّيخ عبد الرزاق بن محمد أمقران بن إبراهيم بن حمودة المتوفى عام 1937 م(1) ، هذا القبر يرتفع عن مستوى أرضية السقيفة بحوالي 0.8م . و قد دفنت جثة الشّيخ في مسكنه الى جانب أبيه و جدّه وعمه المدفونين في هذا المسكن قبله داخل غرفة تفصل المسكن عن المصلى والزّاوية. هذه الطّريقة معروفة في زوايا المغرب كثيرا فعادة يتمّ دفن صاحب الطّريقة أو مجموعة من الأضرحة تظم

رفات عائلته(2). من السّقيفة نجد مدخلا نلج بواسطته الى داخل الدّار يأتي على اليمين ويبلغ من الأبعاد (0.8م عرضا و1.70م طولاً) غير مجهز بباب يؤدي الى رواق .

ت - الرّواق

إن الأروقة معروفة في البيوت الإسلامية منذ وقت مبكر ، فهي كذلك تساعد على تلطيف الجو و التّقليل من حدة أشعة الشمس(3) . وتشير الدّراسات العلمية إلى أنه كلما زاد اتّساع الفتحات التي يدخل منها الهواء وضاق مخرجه كلما زادت نسبة تهوية المبنى كما أن للأروقة دورا معماريا مهما يتمثل في تخفيف الحمل الذي يقوم عليه ممرّ الطّابق العلوي و سقفه أيضا(4). رواق دار سي الحواس مساحته 1.50م على 5.50م ، و هو يخصّ الأسرة لأنه من الأماكن الملائمة في البيت ، و غالبا ما تؤدي به بعض الأغراض المنزلية ، يرتفع عن مستوى السّقيفة بحوالي 0.2م ، يفتح هذا الرّواق على فناء أو صحن الدّار و فيه تتجمع الأسرة ليلا عند فصل الصّيف حيث يشتد الحر.

- 1- يحدثنا السيّد سي الهادي حمودة عم الشّهيد بأنه ولد بهذه الدار سنة 1914 وأن له أبا يكبره بثلاثين سنة وهو عبد الرزاق حمودة (أب سي الحواس) ولد هو أيضا بهذه الدار التي هي في الأصل ملك لوالدهم محمد أمقران حمودة . وعملية حسابية بسيطة نجد أن أقلّ عمر لهذه الدار هو 120 سنة إذا فترضا أن تاريخ ولادة أخيه الأكبر هو تاريخ بنائها .
- 2- نسيب (محمد) : زوايا العلم والقرآن بالجزائر ، دار الفكر ، دمشق / الجزائر ، دبت، ص 27-28 .
- 3- يعرف بمنطقة ورقلة بالسلام وبوادي ريغ بالساباط و بتوات بأسكلو و تاهجة بمنطقة جبال العمور .و الجدير بالذكر أن الأروقة في البيوت الإسلامية معروفة منذ وقت مبكر حيث لوحظت في كل من قصر الأخضر(2هـ/8م) و بيوت القسطاط (3هـ/9م) أنظر ؛ Marçais(G) : Salles . anti salle . Recherches sur l'évolution d'un thème de l'architecture domestique en pays d'Islam ; Extrait des Annales de l'Institut d'Etudes orientale; T10 . 1952 . pp 283-286.
- 4- عقاب (محمد الطيب)؛ المدخل الى المسكن العربي الإسلامي بمدينة الجزائر ، المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية ، تلمسان- الجزائر 15-18 نوفمبر 1982، ص8 . ص 08.

ث- الفناء

من أهمّ مميّزات العمارة الإسلامية عامة و البيت الإسلامي على الخصوص الفناء لما يوفره من نور وهواء يمد بها الغرف المطلّة عليه صيفا وشتاءا . وقد أثبتت التّجارب على أن درجة الحرارة بوسط الدّار تنخفض بمقدارين عن درجة الحرارة السّائدة خارج الدّار(1) ، و لم تكن الوظيفة المناطة بالفناء هي التّهووية ومد مختلف العناصر المعمارية للدّار بالضّوء فحسب بل يؤدي كذلك دورا اجتماعيا و تنظيميا(2) . و هو كذلك المكان الخاص الذي يلجأ إليه أهل الدّار للرّاحة والتّأمل نظرا لما يوفره من راحة نفسية لا غنى عنها(3) . و يشترك مع الأروقة في أداء بعض الوظائف(4) ، وفيه تقوم المرأة بعدة أدوار رئيسية في المسكن ، كما أنه يعتبر المكان الأكثر مرحا للأطفال(5) ، وقد جاء على لسان الرّيحايوي وهو احد علماء الآثار متحدثا عن دور الفناء " الفناء هو النّافذة التي يطلّ منها الإنسان على الكون اللانهائي ، تظله على الدّوام قبة السّماء ، بما فيها من كواكب و نجوم و غيوم ، يحسّ عندئذ بالحرية المطلقة ، وتسترخي فيه روحه كلما أرهقه طغيان الماديات و اخنقه ضيق الشّوارع و ما فيها من ازدحام ، وهو مكان التّقاء أفراد الأسرة أيام أفراحها و أتراحها " (6).

1- محمد عبد الستار (عثمان): المدينة الإسلامية . عالم المعرفة 128. الكويت 1988 . ص340

2- Kassab (T). Evolution du patio dans la maison d'habitation individuelle en Algérie . Les cahiers de l'EPAU.7/8 . 10/98 . P 51-57 .

3- فتحي (حسن) : العمارة الإسلامية و الذاتية الثقافية و اتصال الأرض بالسماء ، مجلة تنمية المجتمع . العدد الأول ،

السنة السابعة ، القاهرة 1982، ص 4.

- 4- عقاب (محمد الطيب) : السكن الأصيل... ج 2. ع 7957. 1 جوان 1989 . ص 8.
- 5- تورييس (بلباس) : الأبنية الأسيانية الإسلامية . ترجمة علية ابراهيم العناني . في صحيفة معهد الدراسات العربية بمدريد . ع 1. مدريد 1953 . ص 127 .
- 6- الريحاوي (عبد القادر) : البيت في المشرق العربي الإسلامي . المؤتمر العاشر للأثار من 15-18 . نوفمبر 1982 ، تلمسان 1982 . ص 17 .

وحقيقة الأمر إن الإنسان عندما يجلس بالفناء يجد نفسه في فضاء ذو حدين ، فحد مغلق أي أنه محمي مما يأتي من الخارج وآخر مفتوح على السماء يجعل بصر الناظر غير محدود فيسكن النفس ويهدأ من الرّوع . وفناء المسكن هذا لا يتوفّر على مساحة كافية تسمح بالجلوس أو إقامة أي من الأعمال اليومية فهو في الحقيقة معدوم إذا ما نظرنا الى مساحته ويبقى فقط المجال الفضائي للسلمّ فهو الذي يخلف الفناء .

ج- القاعات

تتوزّع على الجوانب الثلاثة لصحن الدّار ، و تسمى بيوتا إذا كانت في الطابق الأرضي وغرفا إذا كانت في الطابق العلوي

1- البيوت :

البيت جمع بيوت و هو وحدة معمارية من الوحدات التي تتكوّن منها الدّار ، و سميت بيت بالتّخصيص لاستعمالها للنّوم أو للمبيت بصفة خاصة(1) . تتوفّر دار سي الحواس على بيت واحدة ، ذات مدخل مقاساته(0.7م و 1.60م) ، ذات شكل منحرف نوعا ما تتراوح أبعادها ب (2.5م/2م) ، يرتفع على مستوى الرّواق بحوالي 0.4م ، وهي صغيرة المساحة نوعا ما ، تتوفّر على نافذة ذات أبعاد (0.7م/0.5م) ، تطلّ على فناء الدّار، شأنها شأن المدخل . يطلق عليها اسم بيت سيدي الطاهر بالحاج(2) .

1- ابن الرامي . الإعلان بإحكام البنين . تحقيق محمد عبد الستار عثمان . دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر.الأسكندرية . 2002 . ص 144 .

2- عادة ما يطلق على البيوت في الدّور الصّحراوية أسامي سواء بمناسبة الوظيفة التي تؤديها كبيت القش ، بيت الكحلة ، بيت الضيافة ، بيت المئونة ، وهناك من يطلق عليها أسماء أشخاص كحالة بيت سيدي الطاهر بالحاج رغم أنه ليس من أهل الدار وبحكم أنه ضيف يتردد على الزاوية من الحين الى الآخر لإلقاء الدّروس و التّعليم ، فيتطلب من صاحب الدّار إيوائه . وقد كانت هذه البيت هي مكان إقامته أثناء هذه الفترات فلذا أطلق عليها اسمه . ضف إلى ما أفادنا به سي الهادي بأن كل سي الطاهر بلحاج و إبراهيم بلحاج هما ولدي سي الصادق بالحاج معلم ومجاهد كبير شارك في العديد من الثورات ضد المستعمر الفرنسي منها ثورة مشونش و سريانة الزعاطشة رفقة ولديه اسر وتوفي بسجن الحرّاش سنة 1862 حيث تم نقله ودفنه بمسقط رأسه بزاوية القصر بتبرماسين .

تتميّز بسقف خشبي استعملت فيه عوارض خشبية مصنوعة من شجر النّخيل و قد تمت تكسيّة جدرانها بالملاط الطّيني و تبلّط بالتراب المبلّل بقليل من الماء.

هناك بيت ثانية إن صحّ القول وهي الإسطبل(1)، و نصل إليها عبر ممر ضيق بين السلم و الفناء ، تتوفر على مدخل تقدر أبعاده ب (1.6م/0.6م) ، غير مجهزة بنافذة ، يبلغ ارتفاعها مترين ، ذات شكل شبه مستطيل بحيث يصل طولها الى 3م و حوالي 1.6 م عرضا .
إن اختيار بنائها بهذا المكان لم يكن عن طريق الصدفة أو الحاجة بل كان ناتج عن وعي تام بأصول العمارة ، حتى لا تزعج الدابة البيوت المجاورة بحركتها ليلا أو بروائح فضلاتها و تكون بذلك أذية للجار(2) .

2- الغرف :

يختلف عدد الغرف من بيت الى آخر ، بحسب أهمية الأسرة و مستواها المادي ، وتتوفر دار سي الحواس على ثلاثة غرف نصل إليها بواسطة سلم ينطلق من فناء الدار ، تطل كلها على الصحن ما عدا أكبرها فهي مزودة بنافذتين تطلان على حديقة الدار(الجنان) . أما الغرفة الأولى فهي غرفة الشهيد الخاصة مربعة الشكل تقريبا مقاساتها (3.7م x 3.7م) مزودة بمدخل عرضه 0.7 م على 1.7م ، ذات نافذة صغيرة تطل على السلم بأبعاد تقدر ب(0.7/0.4م) . أما الغرفة الثانية فمخصصة للضيافة و هي كبيرة الحجم نوعا ما مقارنة بالأولى ، ذات مدخل أبعاده (0.7م/1.8م)، ذات شكل شبه منحرف بينما تقدر أبعاد جدرانها ب (2.4م/6م) و (3.4م/7م) ، مزودة بنافذتين تطلان على حديقة الدار تبلغ أبعادهما ب 0.7م/1م ،

1- يقال الإسطبل " حضير الخيل " حيث قال ابن منظور الإسطبل موقف الدابة و في التهذيب موقف الفرس و الجمع إسطبلات ، و قد تطورت عمارة الإسطبلات فاشتملت بالإضافة الى مواضع رؤوس الخيل على المتبن و الركابخاناه (المكان الذي يحتفظ فيه بالأدوات التي تسرح بها الخيل) . انظر ؛ ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد): لسان العرب.الدار المصرية للتأليف والترجمة، بيولات ، ج11، ص18.

2- قد أشار ابن الرامي الى هذا المعنى عند ذكر أن " الجار يمنع عن من إحداث الإسطبل عند بيت جاره لما فيه من الضرر من بول الدواب و حركتها الليل و النهار و الحركة المانعة من النوم " انظر ؛ ابن الرامي. الإعلان بأحكام البناء . ص390.

تفصل بينهما مسافة قدرها 3.8م . الغرفة الثالثة خصصت كمخزن للمثونة ، تتوفر على مدخل تقدر أبعاده ب(10.7م/1.7م) ، و تنحدر مستوى أرضيتها ب 0.3م عن مستوى الرّواق المؤدي لها ، لا توجد بها نافذة ، مستطيلة الشكل تقدر مساحتها ب(3م/4.3م) ، و يبدو أنها زوّدت بدعامة في وسطها الغاية منها دعم سقف هذه الغرفة ، إلا أنها مقلّدة و ليست أصلية كونها وضعت خلال عمليات الترميم التي مست هذه الدار(1).

تستغل هذه الغرفة لحفظ كل ما هو ضروري للحياة المعيشية من حبوب و الخضر و العسل و التّمور وغيرها ، و تتميز كذلك ببعدها على أعين الناس من غير أهل الدار حتى لا يعرف ما بداخلها(2) ، و عملية تسقيف هذه الغرف في الغالب تعتمد على وسائل محلية بحتة وهي جذوع النّخيل ، كما تمتاز هذه الغرف بعدم توفّرها على زوايا قائمة و عدم استقامة جدرانها و هي ظاهرة معروفة في الدّور الإسلامية(3) .

ثم نصل الى غرفة سي الحواس عبر ممر يشكّل سقف الرّواق يطلّ على فناء المسكن وبذلك السلم ، بحيث يتوفّر على عارضة خشبية ترتفع ب 0.6م ، تتوضع على تتوئين يشكّلان بذلك حدود الممرّ المطلّة على الفناء ، و يضيفان على الطّابق الأول رونقا وجمالا .

1- ان أول ترميم مس هذه الدار التي كانت آيلة للسقوط كان سنة 1992 بعدما قررت المصالح المختصة إعادة الاعتبار لها وتخصيصها كمتحف للثورة حيث قامت بترميمها بعدما ظمت باقي الدار الذي يخص سي الهادي حمودة وهو ابن عم الشهيد الذي وهبه هو كذلك و هذا لإعادة الاعتبار للدار بصفة عامة حيث تكفلت بذلك مقولة جيمايي بهذه العملية التي كانت على العموم ضرورية إلا أنها لم تكن ناجعة و هذا لعدم إتباعها لأساليب علمية في هذا المجال كما جرت هناك عملية ترميم أخرى سنة 2007 هذه الأخيرة التي كثيرا من حيث الشكل العامل للدار كما أضيفت زخارف لم تكن ضرورية و لا ندري لماذا هذه الإضافات في كل مرة .

2- حملوي (علي) : نماذج من قصور ... ص ص 248-249 .

3- للمزيد انظر: - GABRIEL (A) et Bahget (A) : Les fouilles d'al-Foustat et les origines de la maison arabe en Egypte . Paris 1921 .

ح- المطبخ :

تتميّز المطابخ عادة عن بقية الغرف باحتوائها على مداخن تشغل إحدى الأركان على غرار ما عرف بالبيوت الإسلامية⁽¹⁾ ، وهي عادة ما تكون صغيرة الحجم متواجدة بالطابق الأرضي ، إما في حالة دار سي الحواس فالمطبخ يقع بالطابق العلوي ، غير مزود بمدخل بحيث نصل إليه مباشرة من الطابق العلوي . و نظرا للترميمات التي مست المسكن فقد تم إزالة المدخنة و لم يبق يحتفظ إلا بشكله العام خاصة تلك الكوافة التي توجد على الجدران تستغل كخزائن حائطية . كما أن المطبخ لا يمثل في هذه الدار وحدة معمارية مستقلة بذاتها وقد اختيرت له إحدى جوانب البهو العلوي الكبير الذي يشكل هو بدوره سقيفة ثانية ، لا تتوفر على جدار بينها وبين الفناء و هو ما وفر تهوية و إنارة عاليتين.

خ- دورة المياه :

عادة ما تحتل مثل هذه الوحدات المعمارية أحد أركان فناء الدار ، معزولة عن جناح المعيشة ، و محجوبة عن الأنظار ، حتى يتمكن الفرد من قضاء حاجته دون إحراج . و عادة ما تكون صغيرة المساحة بحيث لا يتجاوز عرضها في أكثر الأحيان عن 1م⁽²⁾ . تكون عادة مرتفعة عن مستوى سطح الأرضية التي بنيت عليها ، مشكلة بذلك غرفتين تتوضع أحدهما على الأخرى فأما العلوية فهي الإيوان الذي يلج إليه الفرد للستر و قضاء حاجته ، و قد يتوقّر على باب خشبي وأحيانا أخرى لا يحوز سوى على قطعة من قماش ، فان كانت مرفوعة فهذا يعني أن بيت الخلاء خالية وان كانت مبسوطة فهذا يعني بأن هناك من يقضي حاجته . و على أرضية هذه الغرفة يوجد مصرف للمياه و البراز. يصبّ في الحجرة الأرضية يذر فوقه الرماد حتى يحدّ من تسرّب الرائحة الكريهة و يجف

1- شافعي (فريد) : العمارة العربية في مصر الإسلامية . عصر الولاية. المجلد 1. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .1970.ص433.

2- عقاب (محمد الطيب) : السكن الأصيل...، ج2، ص 8 .

بسرعة ، و يتمّ إفراغ هذه الحجرة من الفضلات من الفترة الى الأخرى بعد حفرها من خارج الدار عبر نافذة مخصصة لهذا الغرض ، و تستعمل هذه البقايا كسماد للتربة الزراعية . أما في حالة دار سي الحواس فبيت الخلاء تم إزالته نهائيا بعد الترميمات التي مست هذه الدار لغرض تهيئتها لتصبح متحفا تاريخيا للثورة ، وعلى ما يبدو فان بيت الخلاء هذه كانت بالطابق العلوي و بالضبط بالسقيفة المحاذية للمطبخ(1) ، لتشكل بذلك تنوعا يمتد الى خارج الدار من الجهة الخلفية ، و بنائه في هذا المكان بالضبط يدل على أن استعماله يخص نساء الدار فقط ، و أما الرجال فيقضون حاجتهم خارجها . و هي لا تتوفر على أي نظام لجلب الماء أو تخزينه فيها ، و تقتصر فقط على أخذ الماء داخل دلو صغير للاغتسال ، و إناء آخر به رماد ينثر على البراز بغية كبت الروائح الكريهة و لكي يجف بسرعة .

4- الضريح : (شكل 11)

هو عبارة عن نتوء على شكل حجرة صغيرة المساحة تمتد الى داخل قاعة الصلاة ، بأبعاد (1.8م/2م). هذه الحجرة لا تتوفر على مدخل ، و زودت فقط بثلاث فتحات صغيرة الحجم، كل واحدة منها تطلّ على اتجاه ، الأولى تطلّ على السقيفة من الداخل فوق قبر والد الشهيد مباشرة، و الثانية تطلّ على الخارج و هي تقع في الركن الخارجي للمسكن عند التقاء جدار الواجهة الأمامية للدار بجدار المسجد و اللذان يشكلان معا زاوية قائمة تقريبا ، في حين أن ثالث هذه الفتحات تطلّ على داخل المسجد . هذه الفتحات لا توفر إنارة كاملة تسمح بمعاينة ما بداخل هذه الحجرة ، و هذا بسبب صغر حجمها رغم أن أكبرها تلك

1- بيت الخلاء هذا أو بيت الراحة كما يعرف في معظم المناطق مازالت بقاياها جالية للعيان الى يومنا هذا ، متمثلة في آثار مدخله الذي تم طمسه و غلقه ، في حين نجد التربة المحاذية له من الجهة الخلفية ممزوجة بمادة الرماد و هو ما يوحي الى ذلك . و قد اختلفت مثل هذه العناصر المعمارية رغم وحدة استعمالها ففي مدينة فاس مثلا نجد أن مثل هذه العناصر تتكون قسمين يشكلان بذلك مدخلا منكسرا ، و أما بمدينة الجزائر فهي عبارة عن قاعة واحدة تتميز بوجود عين داخل جدار دورة المياه نفسه و صنبورها خارجة ، و بلطت أرضيتها و كسيت جدرانها بالبلاطات و المربعات الخزفية الملونة ليسهل تنظيفها ، و عادة ما توجه مثل هذه القاعات الى الاتجاه المعاكس للقبلة إلا أن ذلك لا يكون دائما متاحا لصعوبة التحكم في الشوارع وكثرة التوائها . للمزيد راجع 1- عقاب محمد الطيب ؛ قصور مدينة الجزائر .. ، ص ص 90-101 . Gallotti (J) : Le jardin et la maison Arabe au Maroc .T1.Paris.1926.p30.

التي تطلّ على المسجد أبعادها ب(0.6م/0.8م) ، مع ذلك فهي لا توفر إنارة كافية كونها فتحة داخلية . أما الفتحتان الباقيتان ضيقتان فكلتاهما أبعادها حوالي (0.3م/0.4م) . و حسب ما حصلنا عليه من معلومات أفادنا بها عمّ الشهيد أنه يوجد بهذا الضريح والده محمد أمقران ، و جده إبراهيم حمودة و عمه إبراهيم (1).

5- المصلى : (شكل 11)

يشغل المصلى مساحة إجمالية حوالي 25 مترا مربعا ، يتكوّن من بيت للصلاة غير منتظمة الشكل بها نتوء لحجرة خاصة بضريح الشيوخ(2) .

1- حسب الرواية التي سردت علينا من قبل سي الهادي حمودة وهذا بتاريخ 20-05-2008 صرح لنا من خلالها أن أول قبر دفن بهذا المسكن كان للجد إبراهيم حمودة وكان هذا بعد بناء المسكن و قد كان قبر الجد هذا في مكان يدعى بعين الشرفة بجبل حمر خدو ، حيث قام ابنه محمد أمقران بنقل جثمانه الى المسكن ودفنه هناك ، و قد ذكر عن الجد هذا أنه كان رجلا صالحا يعبد الله و كان له زاوية يتعبد فيها ويعلم القرآن ، وأنه ذات مرة ذهب الى الوضوء فلم يجد ماء فطلب الله عز وجل أن يعطيه ماء

فأعطاه ذهباً ، فقال يا ربي إني لا أريد ذهباً بل أريد ماء لكي أتوضئ فأستبدلها الله له بعين جارية . و من بعد ذلك توفي عمه إبراهيم حمودة فدفن هو كذلك هناك ثم توفي والدهم محمد أمقران حمودة فدفن هو كذلك الى جانبهم وقد قام بعدها أخوه عبد الرزاق بغلق تلك العزفة فباتت على شكل ضريح ، و عندما وافته هو المنية قمنا بدفنه الى جانبهم وإنما في السقيفة و قبره موجود الى يومنا هذا في مكانه الأول الذي دفن فيه .

2- قال سي الهادي حمودة ، أن جده إبراهيم حمودة كان شيخاً تقياً ، و أنه كان صاحب زاوية بجبل حمر خدو و بعد وفاته انتهج والده نفس الطريقة و أنشأ زاوية ملحقة بالمسكن ، إلا أن دورها كان يقتصر على تعليم القرآن و من الحين الى الآخر تقام بها بما يسمى بالحضرة و فيها يأتي أشخاص يدعون بالإخوان يختلف عددهم من الحين الى الآخر و عادة ما يتجاوز العشرة يحضر لهم العشاء ثم يقيمون بالزاوية حضرة تتم بالرقص على وقع الدف يتلون خلالها ابتهالات و يجمعون المال لصاحب الزاوية و يتصدقون و يطعمون أصحاب السبيل ثم يبيتون ليلتهم بها وينصرفون في اليوم الموالي ، مضيفاً أنه استمر هذا الحال حتى بعد وفاة والده فأخذها عنه أخيه الأكبر عبد الرزاق على نفس النهج وكان معلماً للقرآن كذلك حتى وفاته سنة 1937م . و قد حدث له ذات يوم أن أرسل له الأخوان مرسولاً أن يحضر لهم العشاء كونهم قادمين لزيارة الضريح فقام بذبح شاة و هيأ لهم مكاناً وقضوا ليلتهم وأقاموا طبولهم وغادروا بعد أن جمعوا له مبلغاً من المال قدره 39 سنتم "دورو" إلا أنها كانت المرة الأولى والأخيرة ، وهذا بسبب مخالطته لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين خاصة منهم عبد الرحمان البركاتي الذي هو زميل و صديق للشيخ الإبراهيمي كون أخته تزوج بها والده فعلم بأن كل هذه الأمور ماهي إلا بدعة ما أنزل بها الله من سلطان ، فأمتنع عنها ومنع عنها من أراد القيام بها منذ تلك السنة ولم يعد إليها . وفي سنة 1980 ترك الزاوية والمسجد بيد معلم قرآن أراد أن ينفع وينتفع فكان يعلم بالزاوية القرآن فباتت كالمدرسة و المصلى للصلاة و لم تدم طويلاً و غادر ومن ثم أصبحت مهجورة الى غاية إنشاء المتحف .

يبلغ طول ضلع بيت الصلاة من الخارج أربعة أمتار و سمك جدرانها يقدر ب0.6 م ، يتم الدخول إليها عبر باب خشبي مصنوع من جذوع النخيل أبعاده ب (0.9م/1.7م) ، يطل على بستان الدار ، يعلو هذا المدخل من الداخل قوس بسيط الشكل . عند الدخول إلى قاعة الصلاة ترتفع الأرضية بمقدار 0.2م ، ويقابلنا عند الدخول أربعة أعمدة خشبية صنعت من خشب الصنوبر استعملت لدعم السقف ، بحيث شكلت مربعاً طول ضلعه متران ، و طولها ب 1.7م و سمكها يتراوح من (0.18م الى 0.2م) . هذه الأعمدة يطلق عليها باللهجة المحلية مصطلح "هايديت" ، و هي لا تتوفر على قاعدة بل اكتفى واضعها بتثبيتها داخل حفر بقاعة الصلاة . في حين تم تزويد هذه الأعمدة بتيجان تقليدية خشبية يطلق عليها محلياً اسم "تاحمارت" ، وهي من نفس نوع الخشب مقوسة الشكل تم حفرها من جانبها الأحدث حتى يثبت رأس العمود الخشبي فيها جيداً . وقد استعمل هذا النوع من الخشب لصلابته وقوة تحمله يأتي على الجدار الأيمن للمدخل المحراب ويقدر عرضه ب1م وارتفاعه ب 1.8 متر يشكل قوساً من الأعلى ، وهو بسيط العمارة خالي من الزخرفة ، كما قام ببناء هذا المصلى من تزويده بثقوب على شكل مثلثات و هذا من الجهة الداخلية لجدار الواجهة الأمامية ، و عددها سبعة تستغل خاصة في حفظ المصاحف . و هي بذلك تشكل نوعاً من الزخرفة الهندسية . من الملاحظ كذلك أن قاعة الصلاة هذه خالية تماماً من النوافذ أو الشَّمسيات عدى تلك التي تطل على الضريح. غير أن هذا المصلى اقتصر دوره على الصلوات الخمس ، التي حرص عليها أهل الدار و من يفد إليهم من الضيوف والجيران على إقامتها به ، و كان ذلك في عهد صاحب الدار محمد أمقران وابنه عبد الرزاق ، اللذان أشرفا على الأذان و الإمامة ، و منذ وفاة هذا الأخير سنة 1937 تراجع شأنها ، و لم تصبح مثل ذي قبل .

6- الزاوية:

يمكن بواسطة الممرّ المؤدي الى مدخل المصلى الوصول إلى الزاوية ، وهي تتوفر على مدخل يأخذ نفس الاتجاه موازيا مع باب المصلى أبعاده ب(0.8م/1.5م) ، يفضي هذا المدخل الى قاعة مستطيلة الشكل تتراوح أبعادها بين(3.4م/4.3م) . لا تتوفر هذه البيت على أية نوافذ أو شمسيات و يبقى المدخل هو المنفذ الوحيد للتهوية والضوء . بنى هذه الزاوية محمد أمقران صاحب المسكن متبعا في ذلك سنة أبية إبراهيم حمودة الذي كان صاحب زاوية كذلك ، فأنشأ هذه الزاوية التي تتبع الزاوية الرحمانية التي أسسها سي الصادق بلحاج بتبرماسين . و قد كان يعلم فيها القرآن ، وكان يرتادها أشخاص يدعون بالإخوان فيحيون فيها ليالي بالرقص على الدف والابتهالات و يطعمون أصحاب السبيل و يجمعون المال ويبيتون ليلتهم فيها وينصرفون . و منذ سنة 1937 و بسبب موجة الوعي التي باشرتتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالمنطقة أغلقت تلك الزاوية أبوابها ولم تعد إلى مثل هذه الأمور إلى غاية سنة 1980 استغلت كمدرسة قرآنية هي والمصلى لمدة سنتين و من ثم أغلقت نهائيا . و هي الآن تمثل أحد أجنحة المتحف لا غير(1).

1- زاوية أولاد سيدي حمودة ، هي تابعة للزاوية الرحمانية التي أسسها الشيخ سيدي الصادق بن الحاج بتبرماسين أو بما يعرف اليوم بسيدي مصمودي ، وتولاها أولاده من بعده إبراهيم ، الطاهر ، لزهري ، و لها أتباع و مريدين في عموم الأوراس و الزيبان والصحراء . تعلم من الشيخ محمد بن عزوز شيخ الزاوية الرحمانية ببرج بن عزوز بطولقة ثم الشيخ عبد الحفيظ الخنقي احد مشايخ الطريقة كذلك ، فأسس زاوية القصر و سيدي مصمودي من بعد ذلك ، شارك في معركة مشونش سنة 1844 التي قادها ابنه إبراهيم بن الحاج و معركة سريانة 1849 التي انظم فيها إلى الشيخ عبد الحفيظ الخنقي ، وكذا معركة هانكلين سنة 1859 و قد كان زعيم ثورة الأوراس من 1858 و 1859 أين القي عليه القبض رفقة أبنائه وحكم عليه بالمؤبد ثم خفف الحكم بالنفي حيث قضى 03 سنوات بسجن الحراش أين وافته المنية و تم نقل جثمانه من قبل مريديه ودفنه بسيدي مصمودي ، من مؤلفاته مخطوط تحت عنوان كامل الكمال يتحدث عن آداب القول و مقاماته العالية يتكون من 222 صفحة ، وأعيد نسخه من طرف احمد بن الطاهر العبدلي المصمودي سنة 1278هـ/1889م .

7- أوجه الاختلاف والتشابه

من خلال الأمثلة التي تطرقنا إليها يمكن استخلاص ما يلي :

أ- من حيث الشكل العام :

من الملاحظ أن عموم الدّور الصّحراوية التي تطرقنا إليها و غيرها، اتخذت من الشّكل المربع أو المستطيل شكلا عاما لها ، ولعل ذلك مرجعه الأساس هو سهولة اقتطاع القطع الأرضية ، ضف الى الهندسة العامة التي تنظم الموقع الذي توجد فيه الدّار . فالشّكل المربّع و المستطيل أشكال معمارية معروفة من القدم فقد استعملها الرّومان في تقسيم وتوزيع الأراضي و لعلها تكون تقنية مكتسبة . في حين سجلنا غياب الشّكل الدائري في الدّور الواحنية ، و لعله أقتصر على الأكواخ والخيام خاصة بالنسبة للبدو الرّحل ، و أحيانا تأخذ بعض الدّور أشكال غير مستقيمة فتكون مثلا منحرفة و مثل ذلك دار سي الحواس ، أو الدّور الواقعة في القصور الصّحراوية و يرجع هذا الى عدم استواء الأرضية بحيث نجد الباني يتبع التّموجات التي تفرضها الأرضية على موقع البناء . كما أن البناء المتراص يفرض من الحين الى الآخر أشكالا تملئها الضّرورة أكثر من الحاجة و هو ميزة من مميزات العمارة الإسلامية و متمثلة في القصبات السّكنية . و على العموم فان الدّور الواحنية تتميز بشكل هندسي كثيرا ما يكون مربعا أو مستطيلا .

ب- من حيث التّوجيه :

لعل أحب اتجاه للمسلمين هو القبلة و يعني ذلك الشّرق ليس و فقط المغزى منه اتجاه الكعبة ولكن كان أكثر من ذلك هو اشراقه الشّمس . ويعود السّبب في ذلك لما تناولته مختلف المصادر خاصة منها الإسلامية و التي تكلمت عن هذا الموضوع مشيرة الى ربح

الصّبأ و منافعها الصّحية . و على هذا فقد اشترك عاملين دفعا بالمسلمين الى توجيه مساكنهم الى الشّرق . وقد يحدث أحيانا أن لا يستطيع صاحب مسكن توجيه مدخله الرئيسي الى الاتجاه المذكور نتيجة التّراص أو اتجاه الشّوارع الرّئيسية ألا أنه دائما تتوفّر داره على باب و نافذة على الأقل تكون موجهة الى الشّرق . فدور واحات الأغواط مثلا يراعى فيها هذا الى الجانب الذي لم نجده في واحات سوف ، هذه الأخيرة التي اعتمد أهلها على جعل الغرف الواقعة شمال الدّار للاستعمال فيما تركوا تلك الواقعة في الجنوب . و السّبب في ذلك هو أن هذه الغرف أو البيوت تكون مفتوحة على صحن الدّار وعند هبوب رياح الشّمال الباردة يستفيدون منها ضف الى هروبهم من اتجاه الزّوابع الرّمليّة التي تجتاح المنطقة خاصة في فصل الرّبيع . و على ذلك فان الدّور الصّحراوية تختلف في هذا الباب على حسب موقعها الجغرافي .

ت- من حيث العناصر المعمارية وتوزيعها :

لا يختلف اثنان على أن الدّور الصّحراوية تتشابه بشكل عام في عناصرها المعمارية وتوزيعها بغض النّظر عن الواحة التي ينتمون إليها ، فأول خاصية تشترك فيها هذه الدّور هو قلة الفتحات إن لم نقل انعدامها على مستوى السّور الخارجي ، الذي يتوفّر على الباب الرّئيسي وهو المنفذ الأساس الى داخل المسكن ، و لعل هذا السّبب يرجع الى الخوف الذي سكن النّاس و باتوا لا يأمنون على أنفسهم، فدفعتهم الحاجة الى حصر أماكن العبور الى

داخل الدّور في باب واحد(1) . أما النّقطة الثّانية التي يشتركون فيها وهي السّقيفة أو جدار الحجة ، ولعل هذه النّقطة تميّز بها الدّور الإسلاميّة عن غيرها

1- الجبوري (حسن علي) : أثر الخوف و القلق على طراز البناء في منطقة النّجف وكربلاء . مجلة التّراث الشّعبي . وزارة الأعلام العدد 7 . السّنة السّادسة . بغداد 1975 . ص 85-96.

من الدّور . و لم تكن إلا حجاب لأصحاب الدّار من الأعراب و هي ميزة اختص بها المسلمون عن غيرهم حفاظا على حرّماتهم . و كان لدفنهم كذلك الدّور الأساسي في تميّز الدّور الواحّية عن غيرها و ذلك يرجع الى الطّروف المناخيّة التي تميّز الواحات فكان هذا العنصر المعماري وعاء للهواء البارد في أشهر الحرّ وفضاء يسمح للنّفس بالرّاحة ، وقد يحدث أن يغيب هذا العنصر خاصة في بعض دور القصبّات فيعوّض بالسّطح الذي يصل إليه أهل الدّار بموجب سلالم . كما تشترك الدّور الإسلاميّة الواحّية على وجه الخصوص في موضع بيت الخلاء و الإسطبل ، فقد تحدث جل المصادر الإسلاميّة كابن الرّامي ، وبن قتيبة و غيرهم على هذين العنصرين بوجوب جعلهم في أطراف المنزل لأبعاد المضرّة عن أهل الدّار والجيران ، وقد توافقت التّماذج المدروسة مع هذه التّعالم .

ج- من حيث مواد وتقنية الإنشاء :

تميّزت جلّ الدّور الواحّية خاصة منها العامّة ببساطتها وتناسق بانيانها، فقد اتخذ سكان الواحات ما توفره الطّبيعة من مواد و استغلّوها في بناء مساكن لهم ولم يفرطوا في ذلك ، كما أن كلّ واحة تميّز بوفرة مادة عن الأخرى ، فنجد بذلك سيطرة هذه المادة عن بقية المواد ، فمثلا حجارة وادي الأبيض الذي يمرّ على واحة مشونش فنجد جلّ بيوت الواحة تستعمله خاصة في بناء الأساسات ، بينما في واحات سوف فنجد الحجارة الكلسية ، فهذا التّنوع ليس اختلاف بقدر ما هو تطويع للطّبيعة و ما توفره لخدمة الإنسان . كما أن تقنيات البناء التي استعملت في الدّور الصّحراوية تكاد تكون متشابهة في بناء الأساسات والجدران وقد اختلفت في طرق التّسقيف ، حيث تميّزت طرق التّسقيف بواحات سوف عن غيرها بتقنية القباب أو الأسقف الاسطوانية و يرجع ذلك للطّروف المناخيّة المتمثلة في الحرارة الشّديدة ، فابتعدت عن التّسقيف المسطح الذي ميّز باقي الدّور الواحّية مثلما ابتعدت الدّور الواقعة في الشّمال واستعملت السّقف الهرمي نظرا لكثرة الأمطار . فبات انتشار تقنية في منطقة عن أخرى إلا لسبب دعت إليه الضّرورة الملحّة و دفعت النّاس الى استعماله .

الخلاصة :

من خلال تطرّقنا الى مجموعة من الواحات وبعض نماذجها السّكنية ، يمكن استنتاج عنصرين هامين اشتركت فهم جميع الدّور محل الدّراسة وهما :

- أولاً: اشتركت جميع الدّور الواحاتية في أنها تبنى من المواد التي توفرها الطّبيعة المحيطة دون جلب أو استيراد أي مادة أو أخرى و ذلك اقتناعاً منهم بأن المادة المتوفرة في الواحة لها من المواصفات ما يؤهلها أن تصلح كمادة بناء ، ضف الى هذه المواد تكون في متناول الجميع و ليست حكراً على احد ، و هذا أمر ضروري أن يقضي على العديد من المشاكل المادية التي يتعرض لها النّاس و يمنح لهم الفرصة من بناء دار تؤويهم و عيالهم و تقيهم شرّ الطّبيعة . و لعل أهم المشاكل في أيامنا هذه هي مشكلة السّكن ، فهل يا ترى إذا بقي النّاس على عهد آبائهم يصبح الحال على ما هو عليه اليوم ؟ فأنظر أمر هين يمكن أن يحلّ ما استعصى على الكثير من النّاس !

- ثانياً : لقد كان من الواضح ما لأثر التّعاليم الإسلامية على العمارة على العموم وعلى العمارة الصّحراوية بوجه خاص . فلولا ذلك التّهذيب الذي ترك الإسلام الدّور الواحاتية تتصف به قصد الحفاظ على الحرمات ، و بذلك الحفاظ على الأسرة والأداب العامة التي تربط النّاس ببعضهم البعض . فحبس النّظر والسّمع ، و عدم إيذاء النّاس لبعضهم البعض ، كلّ ذلك أعطى حياة مثالية على الرغم من بساطتها . فبات تهذيب الرّوح الإنسانيّة وإبعادها عن أوجه التّرف واضح في العمارة الإسلامية . ولعل في أيامنا هذه لم يبق إلا في بعض الدّور الصّحراوية التي مازالت تحتفظ بهذا الطابع .

و على العموم فإن العمارة الصّحراوية هي عمارة مدروسة وفق أسس علمية ولم تكن أبدا عن طريق الصدفة و إلا فبماذا نفسر هذا التّشابه في توزيع العناصر المعمارية و تقنيات البناء ؟

الفصل الثالث

مواد الإنشاء و تقنيات البناء

أولاً- المواد الإنشائية

- 1- الحجارة
- 2- الطوب
- 3- الرَّمْل
- 4- الطين
- 5- الجبس
- 6- الملاط
- 7- الخشب

ثانياً- تقنيات الإنشاء

- 1- بناء الأساسات
- 2- بناء الجدران
- 3- الأركان
- أ- الرّكن الداخلي
- ب- الرّكن الخارجي
- 4- نظام التغطية

- أ- الطَّبقة الأولى
- ب- الطَّبقة الثانية
- ت- الطَّبقة الثالثة
- ث- الطَّبقة الرابعة

5- تقنيات التَّكسية .

6- السَّلام

الخلاصة

أولا - المواد الإنشائية

و يقصد بـ مواد الإنشاء تلك المواد التي يستعملها البناؤون في البناء ، و يتحصّل عليها من الطَّبيعة ، و قد تستعمل على طبيعتها أو يتمّ تهيئتها حسب الحاجة كالحجارة مثلا ، وهناك من المواد التي يتم تركيبها بجمع موادها الخام من الطَّبيعة بواسطة طرق متوارثة لتعطي مادة بناء مركبة و جيدة كالأجر و الطُّوب ، وكل ذلك يتأتى حسب الإمكانيات المتاحة للطَّالبيين لها و من هذه المواد المستعملة في بناء منزل سي الحواس نذكر ما يلي :

1 - الحجارة :

تعتبر الحجارة من أقدم المواد الطَّبيعية التي استعملها الإنسان في البناء ، نظرا لتعدد وظائفها في البناء الواحد فقد استعملت كمادة زخرفية و إنشائية في آن واحد .والحجارة اصطلاحا هي كل قطعة يزيد قطرها عن 2 مم طبقا للتصنيف الدولي(1) . و تنقسم الحجارة الى أنواع وذلك حسب حجمها ، فالحجارة الكبيرة تسمى أحجار آلة أما الأحجار الصَّغيرة فتسمى بطيحا متى كانت مهذبة و تسمى دبشا متى كان العكس(2) . أما فيزيائيا فتصنّف هذه المادة حسب صلابتها الى عدة أنواع(3) وهي :

أنواع الحجارة			
01	الحجارة الهشة	04	الحجارة النصف جامدة
02	الحجارة النصف صلبة	05	الحجارة الجامدة
03	الحجارة الصلبة	06	الحجارة الأكثر جمودا
07	الحجارة الباردة		

جدول رقم 02: يوضح أنواع الحجارة .

-
- 1- التوني يوسف . معجم المصطلحات الجغرافية . دار الفكر العربي . بيروت 1977 . ص 178 .
 2- نجيب محمد مصطفى . العمارة في عصر المماليك . القاهرة تاريخها وفنونها وأثارها . القاهرة 1970 . ص 235 .
 3 BRIGAUX .G . Traité du Bâtiment . La Maçonnerie .PARIS 1978.P 194 .

و تزخر واحة مشونش بوفرة كبيرة من هذه المادة الهامة في البناء لقربها من المحاجر والوديان ، وهي متنوعة فمنها ما يجلب من الجبال المحيطة بالمنطقة و أخرى تجلب من الوادي الذي يمرّ بالواحة، وكلاهما يتمّ استغلالهما كمواد للبناء سواء في بناء الأساسات أو الجدران ، هذه الحجارة رسوبية تتكوّن من حبيبات متماسكة فيما بينها بواسطة ملاط سيليسي أو كلسي و يطلق عليها في معظم المناطق الجنوبية باسم التافزا(1) . و منها من يميل لونها الى الأحمر المصفر نظرا لاحتوائها على أكسيد الحديد ، وتمتاز بصلابتها وشدة مقاومتها لعوامل الطبيعة ، لذلك يكثر استعمالها في الأماكن الباردة حيث يكثر تساقط الأمطار والثلوج(2) ، أو في الأماكن المعرضة للرطوبة مثل أسس المباني(3) وتسمى بالحجارة الصّلبة . و نوع آخر من الحجارة الرّسوبية والتي تتكوّن من سولفات أو كربونات الكالسيوم و تدعى بالحجارة الهشة ، و تكثر هذه الأخيرة بالمناطق الصّحراوية لوجود طبقات كلسيه تعود الى الفترة الكريتاسية(4)، و تمتد من منطقة وادي ميزاب الى منطقة تين قريت(5) ، علاوة على منطقة بسكرة و وادي سوف و منطقة وادي ريغ(6).

- 1- تطلق عليها بعض المراجع اسم الحجارة الجافة (Pierres Sèches) .
- Terrasse(H) . Kasbah Berbère de l'Atlas et des Oasis . Les grandes architectures du sud 2 Marocain . Horizons de France . Paris 1938. p 32.
- Bernard (A) . Enquête sur L'Habitation rurale des indigènes de L'Algérie 3 Imprimerie Orientale Fontana frères . Alger . 1921.p.32 .
- 4-الفترة الجيولوجية الكريتاسية (Crétacé) هي آخر فترة في الحقبة الجيولوجية المسماة ميزوزوايك (Mésozoïque) . تمتد من 140 مليون سنة الى غاية 65 مليون سنة . هذه الحقبة تتعلق بانقسام الزمن الجيولوجي ، وهي تمتد من 250 مليون سنة الى 65 مليون سنة ، و يطلق عليها الحقبة الجيولوجية الثانوية (Ere Secondaire) . و تنقسم الى ثلاث أزمنة هي (Crétacé 3. Cénozoïque 2.Paléozoïque 1)
- 5- هضبة تينقريت تقع الى الجنوب الشرقي من العاصمة الجزائر وتبعد عنها بحوالي 1150 كلم .
- André (C).Reconnaissance géologique dans L'Erg d'Oubain et la Hamadas Zeher 6 راجع ايضا (Fezzan) .T.I.R.S. T2 .pp. 69-72 .1950
- Estorages . (P). La Bordure Saharienne du djebel Amour . Etudes morphologique . Travaux de l'institut de recherches Sahariennes .T 24.pp 36-40. p 87.1965

عرف الإنسان استعمال الحجارة غير المهذبة منذ القديم في البناءات(1). والملاحظ في مدينة مشونش الاستعمال الواسع للحجارة الغير مهذبة و التي تجلب من الوادي المحاذي للمدينة و تستعمل خاصة هذه الأخيرة في الأساسات ، وهي ذات شكل مكور تقريبا و ملساء ، أما الحجارة التي تجلب من الجبال المحيطة بالمنطقة و التي تستعمل هي كذلك دون أن يطرأ عليها أي تغيير سوى تربية بسيط يلجأ إليه البنّاء ، في حين أن الحجارة المستوية فتترك لتتسقات البناء(2) . و قد استعمل في بناء المنزل محل الدراسة نفس التّقنية بحيث استعملت الحجارة الصّلبة التي جلبت من الوادي في بناء الأساسات خاصة ، وكذا الجدران ممزوجة بتلك التي جلبت من الجبال والحجارة الهشة وذلك حسب الحاجة و التّوفر.

2-الطوب

تعتبر مادة الطّوب من أقدم المواد المصنعة المستعملة في العمارة(3)، وقد عرفت منذ العهود القديمة . فاستعملت بشكل واسع في بلاد الرافدين والفراعنة و أخذها عنهم

الإغريق(4) . و هذا لما تتوفر عليه من مميزات و خصائص ساعدت على انتشار هذه التقنية خاصة كونها تعتبر عازل حراري جيد ، لذا يكثر استعمالها في البنايات بالمناطق الصحراوية . تنقسم مادة الطوب الى نوعين فهناك الطوب البسيط و يحتوي على تربة طينية من 13-20 % ، تربة غرانيتية 7-12 % و تربة رملية من 4-6 % (5)، و هناك الطوب المركب الذي يتكون من الطوب البسيط يضاف له التبن أو القصب أو سعف الجريد أو الحصى و هذا أثناء صناعته و الغرض من ذلك هو رفع درجة تماسكه .

- 1- استخدمت الحجارة الغير مهذبة "الدبش" (Moëllon) في العمارة الساسنية وبلاد ما بين النهرين . وفي العهود الأولى من ظهور الإسلام ، و عرفت ازدهارا واسعا في بلاد المغرب خلال القرن 5هـ / 11 م .
- 2- Donna dieu (C). et Didillon (H.J.M). Habiter le Désert . Les Maison Mozabites. Pierre Mardaga . 3ème édition . Bruxelles 1986 .
- 3- استعارت اللغتان الفرنسية والانجليزية هذه الكلمة (Adobe) من اللغة الاسبانية والتي أخذتها بدورها من اللغة العربية . و قد عرف استعمال هذه المادة في المناطق الجافة والنصف الجافة خاصة في إفريقيا الشمالية . المكسيك. الجنوب الغربي للولايات المتحدة الأمريكية .
- 4- Adam(J.P) . La Construction Romaine .Matériaux et Techniques .Grande Manuelle Picards. Paris. S.D .p63.
- 5- Clartés (T). Métiers et Techniques.Encyclopédie du Présent. Paris 1987. P70-80

يتم تحضير الطوب المجفف في الشمس بخلط مادة الطين الخام مع الماء والرمل فقط إذا كانت من النوع الضعيف ، في حين يضاف لها التبن أو سعف الجريد أو الحصى للتقليل من دسماها و يزداد تماسكها(1) . يدلك الخليط جيدا بالأرجل و يقلب بالمعول حتى يذوب و يصبح عجينة طرية و متماسكة ، بعدها يصب في قالب خشبي مستطيل الشكل بدون قاعدة مهيا لهذا الغرض و يسويه العامل إما بالأيدي أو بألة مهيأة ثم ينزع القالب بخفة حتى لا يؤدي ذلك الى اعوجاج الطوبة المصنعة و تطرح في مكان مستوى معرض لأشعة الشمس بضعة أيام حتى تجف و تكتسب صلابة و متانة ، عندها تصبح صالحة للاستعمال . كما يفضل أن تكون فترة صناعة الطوب في الأيام الغير ممطرة (فصلي الربيع والخريف) ولا يفضل صناعته في الصيف حتى لا يجف بسرعة و يتشقق(2) . و يعتبر الطين المجفف تحت الشمس من المواد الغير موصلة ، فهو يحتفظ بالحرارة طول النهار و ينشرها ليلا و ذلك يعود لضعف مقاومته الطبيعية و المقدر ب 0.22 حريرة لكل دقيقة/سم²(3). و من مميزات مادة الطوب الآتي.

الكتلة	المقاومة للضغط	الطول	العرض	السبك
1.6-2.3 كغ/دم ³	21 كغ/سم ²	20-40 سم	6-13 سم ²	6-13 سم ²

جدول 03 يوضح الخصائص التقنية لمادة الطوب

يعتبر أبو العرب(4) أول من أشار الى استعمال هذه التقنية ، أي إدخال التبن أو غيره في تركيب الطوب بالمغرب في سياق حديثه عن أبي الوليد مروان بن أبي شحمة المسيلي

4-ابوالعرب . هو محمد ابن احمد بن تميم ، فقيه وشيخ من أهل القيروان ولد ما بين 250 هـ الى 260 هـ ، 170-احترف التعليم ، توفي سنة 333 هـ من مؤلفاته طبقات علماء افريقية ، فضائل مالك .

حيث يقول " لقد حدثني عبد الرحمان و ابنه أنه كان يعمل بيده الطوب فيتصدق بثلث ما يربح فيه و ينفق ثلثا على عياله و يرد ثلثا في التبن و ما يصلح به عمل الطوب ... " (1) . ومن هذا نستنتج بأن من المواد الضرورية في صناعة الطوب مادة التبن التي تكاد تكون ضرورية دون سواها و ذلك لما توفره من تماسك و ربط بين أجزاء الطوبة الواحدة ، وقد اختلف استعمال هذه المادة من منطقة الى أخرى حسب توفرها ، فأستعمل بدلا منها فضلات الحيوانات والحلفاء وسعف النخيل وحتى الحصى . و هناك من العلماء من يرى أن هذه التقنية دخلت بلاد المغرب من سوريا أثناء العهد الأموي القرن الرابع الهجري (10 م) (2).

مدينة مشونش كمثيلاتها من المدن الصحراوية استعملت هذه المادة بشكل واسع في بناء المساكن ، حيث نجد أن معظم بنايات المدينة مبنية بها ، و هذا لتوفر مواد تصنيعها ، وسهولة الحصول عليها ، و منزل سي الحواس الذي بني طابقه العلوي كاملا بمادة الطوب . و الملاحظ بأن هذه المادة في هذه المنطقة غالبا ما تكون ممزوجة بالحصى (3) ، و أحيانا أخرى بسعف النخيل و نرجح أن ذلك يرجع إلى أن هذه المواد لم تصنع في وقت واحد ، مكان واحد أو صانع واحد ، لذا طرأ عليها هذا الاختلاف . ويعود عدم استعمالهم لمادة التبن بسبب ندرتها و غلائها و إن وجدت فهي تستغل كعلف للدواب .

3- الرّمل

مادة الرّمل عرفها الإنسان و استعملها في مجال البناء و صناعة الفخار و الزجاج منذ القديم . و هي مادة مضافة لا تستعمل وحدها . يتحصّل عليها من ترسبات الأودية ، و يعود مجال استعماله في البناء و ذلك بعد تصفيته من الشوائب في تلبيس الجدران حيث يخلط الرّمل الناعم بمادة الجير و يستعمل للتلبيس الداخلي لجدران المساكن أما الخشن منه فبعد خلطه بنفس المادة يستعمل كفراش لأرضيات المباني (4) .

1-أبو العرّب . طبقات علماء افريقية و تونس . تقديم وتحقيق علي الشابي ونعيم حسين أليافي ، الدار التونسية للنشر ، 1968 ، ص 200 .

-MARCAIS.(G) . L'Architecture Musulmane d'Occident Tunisie . Maroc . Espagne Sicile 2 Arts et Métiers graphique. Paris .1954 . p 40 .

3- الطين الممزوج بالحصى ، استخدم كمادة لاحمة في الأسوار أو الحيطان و هذه التقنية ملاحظة كثيرا في البناءات الصحراوية خاصة في القصور . (قصر بني يزقن بغرداية ، قصر تاويلة بالاغواط) .

4- MANUEL ROCHE. Le M'Zab Architecture Mozabite .Ibadite en Algérie . Paris. 1970.p76

مدينة مشونش يقطعها واد الأبيض الذي يوفر بكثرة هذه المادة و هي في متناول الجميع ، و لا تكلف صاحبها عناء كبيرا لقربها و سهولة الحصول عليها .

4-الطين

مادة الطين معروفة منذ القديم ، و قد عرفت استعمالا واسعا في شتى المجالات ، فبنيت بها جدران المباني بمختلف أنواعها وغطيت بها أجزاءها ، و قد استعملت في ربط وتماسك الحجارة أو الطوب كما هو الحال في منزل سي الحواس حيث كانت مادة الطين هي المادة الملاط الرئيسية .

هذه المادة هي عبارة عن صخر متماسك يتألف من الصلصال و مشتقاته ، وقد يحتوي على أنواع مختلفة من المعادن (1)، التي تضيف على مادة الطين ألوانا مختلفة كاللون الرمادي ، الأسود ، الأصفر ، الأبيض... (2). و تمتاز هذه المادة كونها عازلة و طيعة ويسهل تشكيلها ، لأنها تمتص نسبة عالية من الماء تقدر الى 60 % من وزنها(3) ، وهي نوعين فمنها الطينة الدسمة و منها الضعيفة ، و ينتج كليهما من جراء عوامل كيميائية كالأكسدة أو عوامل ميكانيكية كالإختلاف في درجات الحرارة و الرطوبة و عوامل الحت(4).

1-التوني يوسف . معجم المصطلحات الجغرافية . دار الفكر العربي . بيروت 1977 . ص 336 .

2-نقولا نقاش . " الأجر " دائرة المعارف . بيروت . 1956 . م 1 . ص 77 .

3-حملوي علي . نفس المرجع . ص 288 .

4-OLIVIER (E). Matériaux de construction . T2 . 6EME édition . Paris . 1978 . p 16

ويستخدم من الطين الطوب المجفف في الشمس . وحتى تكون مادة الطينة قابلة للاستعمال في صناعة مواد البناء كالطوب والأجر يجب أن تتراوح نسبة مكوناتها كما يلي :

المادة	الرّمز الكيميائي	النسبة	المادة	الرّمز الكيميائي	النسبة
أكسيد السيليس	SiO ₂	85-35 %	أكسيد الكالسيوم	CaO	25-00 %
الألمين	Al ₂ O ₃	25-09 %	أكسيد التيتان	Ti O ₂	02-0.3 %
المنغنيزيا	MgO	5-0 %	اكسيد الكبريت	SO ₃	03-00 %
أكسيد قلوي	K ₂ O+NA ₂ O	05-01 %	ثان أكسيد الكربون	CO ₂	13-03 %
أكسيد الحديد	Fe ₂ O ₃	03-09 %	الماء	H ₂ O	11-05 %

جدول 04 يوضح مكونات مادة الطوب(1)

5-الجبس

هذه المادة استعملت في بناء منزل سي الحواس كمادة لاحمة في بعض الجدران و قد تستعمل في تكسيه و فرش الأرضيات و بناء الأسقف في أماكن أخرى . و مادتها الخام متوفرة في المنطقة بكثرة و معروفة منذ القديم و تفرقت مجالات استعمالها فمنها ما يستعمل في البناء و آخر في الزخرفة .
و الجبس أو الجبص أو الجص من مواد البناء و هو كبريتات الكالسيوم المهدرتة ، يتحصّل على هذه المادة عن طريق حرق صخر رسوبي يدعى الجبس (CaSO₄ 2H₂O)(2).

1- OLIVIER (E). Op -cit. . p16 .

2- مصطلح الجبس موجود بنفس التسمية في اللغة الفرنسية (Gypse) ، وهو يعني الصخر الرسوبي الذي يستخرج منه الجبس .

و تتمّ هذه الطّريقة باستخراج الحجارة الرّسوبية وتكون على شكل صخور والتي توجد بطريقة أفقية على عمق لا يتجاوز 01 متر من سطح الأرض و يطلق عليها في جلّ المناطق الصّحراوية اسم التّافزا . مناطق الحفر هذه عادة ما تهيأ بجانبها أفران لغرض حرقها تحت درجة حرارة تقدر بحوالي 140 درجة مئوية حيث تطحن بعد ذلك معطية مسحوقا رمادي اللّون سهل للبناء أو التّسويق(1). إلا أن هذه الطّريقة أصبحت مفقودة في أيامنا هذه كونها أصبحت مكلفة و غاية في العناء ضف الى توفر مصانع تفي بهذا الغرض .

مادة الجبس تتكوّن من 46.5 % من حمض الكبريت (H₂SO₄) ، 32.5 % من الجير (CaO) و 21 % من الماء (H₂O) ، وأغلب المناطق الصّحراوية تطلق على هذا المسحوق مصطلح التمششت . و لهذه المادة خاصية المقاومة الشّديدة للعوامل الطّبيعية و هي تضمن البقاء لمدة أطول(2). و يرجع استعمالها الواسع الى تميزها بقدرة حرارية تساعدها على التّقليل من حدة درجة الحرارة نهارا و تمنع تسربها داخل البيت لفترة طويلة (3)، بحيث أن هذه المادة تعمل على انعكاس أشعة الشمس خاصة الجير الأبيض أو التمششت وغيرها(4). و هناك مادة أخرى تشبه في استعمالاتها مادة التمششت و تدعى بالتّاغوري إلا أنّها أقل جودة منها. وهي عبارة عن تربة تشبه مادة التّوف(5)، وهي تستعمل خاصة في البناء و التّليبس .

1 -André Roger (V). Le Souf . Alger .2003. p.164.

2 - Claret (T) ; Opcit. Pp 70-80.

3 -Arbaoui (A). L'Aménagement Urbain dans les régions arides du sud Algérien

Considération climatique .Les cahiers de L'EPAU. 7/8-10/98. p 43

4 - Donnadiou.(C). Opcit . pp 109-110.

5 مادة التوف تحمل نفس التسمية باللغة الفرنسية (TUF) وهي صخر مسامي يتجمع من حمم البراكين أو التربة المسامية و يحتوي على كربونات الكالسيوم .

هذه المادة استعملت في تكسية جدران منزل سي الحواس . و يعود سبب استعمالها لوفرتها وقلة تكلفتها مقارنة بالمواد المذكورة . كما أن درجة الحرارة التي يتم فيها حرق الصّخور الرّسوبية لها دور فعال في نوعية الجبس فنجد أن الجص العادي الذي يستعمل في البناء أو صناعة الملاط يتحصّل عليه عند درجة (130-160) درجة مئوية، بينما عند درجة (170-250) تعطي جص سريع التّصلب و الذي يستعمل خاصة في صناعة القوالب الجصية المزخرفة كما ورد عند ابن خلدون فيقول " ... و من صنائع البناء ما يرجع الى التّمييق و التّزيين . كما يصنع من فوق الحيطان الأشكال المجسمة من الجص يعمر بالماء ثم يرجع جسدا و فيه بقية البلل فيشكل على التّناسب تخريما بمثاقب الحديد الى أن يبقى له رونق و رواء ..."(1). من 600-900 دم° يعطي جص غير فعال أو ميت كونه لا يتصلّب عند إضافة الماء له و هو يسمى بالجير بنوعيه المائي و الهوائي و تستعمل هذه المادة كملاط لآحمّ أو في طلاء الجدران الخارجية للبيوت أو أطر المداخل و هذه المادة معروفة منذ القديم لدى المسلمين و لقد أشار ابن خلدون الى كيفية استعمال هذه المادة بقوله "... و من صنائع البناء أن تجلّ الحيطان بالكلس بعد أن يحلّ بالماء و يخمر أسبوعا أو أسبوعين على قدر ما يعتدل مزاجه من إفراط النارية المفسدة للآحام ..."(2) . عند 1100 دم° تعود الى مادة الجبس قدرة التّصلب لكنّها تكون بطيئة بحيث تدوم من 5 ساعات الى 20 يوما لتصبح بعد ذلك درجة تصلّبه عالية جدا . كما أن ملاط التمشمت الذي يتحصّل عليه بإضافة كمية من الماء يتميّز بالصّلابة الى جانب كونه سريع الجفاف و سريع التّأثر بالرّطوبة (3) ، و هو ملاط يكسب أسطح الجدران و العناصر المعمارية ملامح من الخشونة على هيئة حبيبات ناتئة(4). و يعود ذلك الى عدم سحقها جيدا كي تصبح غيرة ، كما يمنح لها لون أمغر تشوبه حمرة .

- 1- عبد الرحمان ابن خلدون . ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. دار الفكر .بيروت 2003. الطبعة الأولى . ص 388-389 .
- 2- عبد الرحمان ابن خلدون . نفس المرجع . ص 388.
- 3- **Mercier(M)**. La Civilisation au MZAB .Imprimerie administrative et commerciale. Emile Opfister. Alger.1922.pp304-330
- 4- تكتسب هذه الكسوات أهمية بالغة لدى الأثريين ، فكثيرا ما تكون قرينة أثرية بواسطتها يمكن تحديد الترميمات التي أجريت على المنشآت المعمارية الأثرية .

ومن مميزاته أنه إذا كان سمك طبقة الجصّ يبلغ 10 ملم فهو يوفّر حماية لمدة 30 دقيقة تحت درجة حرارة تبلغ 800 دم° في حين توفّر طبقة سمكها 40 ملم الحماية لمدة 40 دقيقة تحت درجة حرارة 1100 دم° (1) . وقد عرفت مادة التمشمت في الكثير من مناطق الجنوب الجزائري كالمنيعة ، متليلي و قصور ورقلة و الاغواط وبسكرة (2).

6- الملاط

هو عبارة عن خليط متصلب من مادة لاحمة ، تتكون من حبيبات دقيقة من الرَّمْل و الطَّيْن والماء و أحيانا يستعمل التُّراب الأحمر. و يدعم الكلّ بإضافة مادة الجير وهو يستعمل في الأعمال النهائية للمبنى كتكسية المباني و تسوية الأرضيات. و يتحدث ابن خلدون عن مادة الملاط قائلا " .. فمنها البناء بالحجارة أو الأجر يقام بها الجدران ملصقا الى بعضهما البعض بالطَّيْن و الكلس الذي يعقد معهما فيلتحم كأنها جسم واحد ". (3). هذه المادة لها دور كبير في تماسك البناء كما أنها تمثل النّقطة الأكثر ضعفا في البناء ، لذا كانت العناية بها كالعناية بالبناء . إن نسبة مادة الملاط تختلف باختلاف مواد البناء ، فعند البناء بالدبش المنتظم فكمية الملاط تكون الى 0.40م³ بينما عند البناء بالدبش المنحوت أو الأجر فهي تتراوح بين 0.25 و 0.30 م³ في حين عند البناء بالحجارة المصقولة فالنسبة تصبح ضئيلة بحيث تتراوح بين 0.08 الى 0.10 م³ (4). وتتميّز مادة الملاط أنها مادة لاحمة وسريعة التّصلب ، مقاومة للضّغط و غير مسامية حيث أنها ضد الرطوبة كما أنها تلعب دورا هاما في تسوية المساحات الغير منتظمة .

- 1- Olivier (E) . Op cit. T2. p 113.
- 2- حملاوي علي . قصور منطقة جبال العمور(السهل الجنوبي). من القرن 16-19م دراسة تاريخية أثرية . رسالة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية . قسم الآثار . كلية العلوم الإنسانية . جامعة الجزائر . ص 191
- 3- عبد الرحمان ابن خلدون . نفس المرجع . ص 388 .
- 4- Nachtergal .(C). Agenda du Bâtiment . Bruxelles . 1984. p35.

و هناك نوعان من الملاط أحدهما يدعي الملاط الطَّيْنِي ، و يتركب هذا النوع من تراب طيني تضاف له كمية من الرَّمْل و يضاف لهما الماء و يمزجا جيدا ، ويستعمل هذا النوع خاصة في ألحام الجدران المبنية من اللبن الطَّيْنِي (الطُّوب) . كما يضاف له أحيانا فتات من الفخار ، و من مميزاتة أنه قليل التّحمل للتأثيرات المناخية خاصة الأمطار . هذا النوع من الملاط مستعمل كمادة اللّحام الرئيسية المستعملة في بناء الجدران بمنزل سي الحواس خاصة وأن معظم أجزاءه مبنية بمادة الطُّوب ، وهناك نوع آخر من الملاط أستعمل خاصة في بناء أساسات المنزل المبنية من الحجارة الغير مصقولة والتي تم جلبها من الوادي ، و هو يختلف في تركيبه عن الملاط الطَّيْنِي بحيث أنه يحتوي زيادة عن المواد المكونة للملاط الطَّيْنِي مادة الجير ، لذا يطلق عليه اسم الملاط الجيري ، و لا يستعمل في أي حال من الأحوال الجير وحدة كمادة لاحمة إلا في حالات يكون فيها الملاط رقيق جدا . و يعود إضافة القطع الفخارية بدلا من الحصى كون أن قطع الفخار قبل استعمالها توضع في الماء لفترة حتى تكسب نسبة عالية من الرطوبة تترك الملاط يكسب مقاومة أكبر .

إضافة الى ما سبق وحتى يكون الملاط ذو تماسك جيد يجب مراعاة نسبة مادة الجير فيه مقارنة بالمواد المكونة الأخرى وهذا لمأ الفراغات التي تتراوح من 18-35 % من الحجم الإجمالي للملاط على حسب حجم حبيبات الرَّمْل (1). و قد أكتسب البناءون في المنطقة كغيرهم في باقي المناطق الطّريقة المثلى والبسيطة للحصول على أفضل تقدير بين هذه المواد وذلك بطريقة التّحضير في الإناء (2) .

- 1 - Bazin (CH). Encyclopédie de L'Architecture et de la Construction .Vol 5.Paris , nd ,p 733
- 2 - طريقة التحضير في الإناء تتم بوضع التربة الطينية و الرمل وفتات الفخار في إناء كبير أو برميل و يضاف إليهم حليب الجير حتى يملأ ، فنجد بذلك أن حجم الفراغات يعادل حجم الماء المسكوب .

في واحة مشونش نجد أن هناك نوع خاص من الملاط يتكون أساسا من التراب الأحمر وهو متوفر بالمنطقة استعمله سكان بكثرة ، و غيرها من المناطق الصحراوية إضافة الى أنواع أخرى من الملاط الأساس في تركيبها هو الطين و الكلس ، هذا النوع من الملاط يختلف باختلاف طرق تحضيره من حيث الاستعمال ، حيث يمزج التراب الأحمر بكمية مناسبة من الماء بعد عملية المزج يصبح كالعجينة ، ويستخدم هذا النوع كمادة ربط في بناء الأسوار و الجدران . و نفس التراب تضاف له كمية أقل من الماء حتى يسهل دكه و يستعمل خصوصا في أرضية البيوت و الأسقف ، وهناك نوع آخر بحيث تضاف كمية كبيرة من الماء لنفس المادة حتى يصبح كالغراء و يستعمل لتسوية الأرضية حتى تصبح ملساء أما النوع الأخير فيستعمل فيه تراب أقل جودة من التراب الأول و يعوض هذا النقص بإضافة التبن أو الحصى و في بعض المناطق تضاف فضلات الأبقار الى هذا المزيج مع كمية من الماء و يستعمل هذا النوع في تكسيه الجدران . وعموما فان هذه التركيبات من الملاط تختلف عن تلك التي تم استعمالها في العالم الإسلامي فالملاط فيها يتركب من التراب و الكلس و الرمل (1) . و يرجع استعمال هذا النوع بكثرة في واحة مشونش نظرا لتوفر هذا النوع من التربة صف الى عدم تكلفته ، و يستعمل خاصة من طرف العامة .

7-الخشب

إن مادة الخشب من المواد المتحصّل عليها من الطّبيعة ، وهي ذات استعمال واسع سواء في البناء أو التّجهيزات أو استعمالها كمصدر للطاقة . و مازالت تحتل المرتبة الأولى في كثيرا من مناطق العالم باستعمالها كمادة أولية وأساسية في البناء ، خاصة في المناطق التي تكثُر فيها الثروة الغابية . حيث نجدها في السقوف و الأبواب و الرّكائز وحتى الجدران ، وقد ذكر ابن خلدون عن أهمية استعمال مادة الخشب في البناء بقوله " ... ومن صنائع البناء عمل السقف بأن تمد الخشب المحكمة النجارة أو الساذجة على حائطي البيت ومن فوقها الألواح كذلك موصلة بالدساتر... " (2) .

- Revault (J). Galvin (L) et Amhan (A). Palais et demeures de Fès . T1. Epoque Mérinide et -1 Sadienne (XIV-XVII) siècle . C.N.R.S . Paris.1985. . op cit . p71.
- 2 ابن خلدون . نفس المرجع. ص 388.

للخشب مقاومة جيدة للضّغط و صعوبة للالتواء وهذا لعدم تجانس القطعة الواحدة. و تختلف هذه المقاومة حسب وضعية اتجاه القوة المؤثرة لاتجاه أليافه ، ولا يمكن حساب هذه القوة لأن هذا

يتعلق من جهة بنوعية الخشب و من جهة أخرى بالتّلاحم الخاص بالأنسجة و من مركباته الكيميائية نجدة يتركب من 50 % كربون و 42 % أكسجين و 06% هيدروجين و 01 % من أزوت و 01% رماد . و قد استعملت كافة أنواع الخشب في شتى المجالات .

تشكّل شجرة النّخيل المورد الأساسي للسّكان في المناطق الصّحراوية (1) . بحيث تعتبر الزّراعة الرئيسية في هذه المناطق (2) . و قطعها واستعمالها في مجال البناء لا يكون إلا بعد أن تصبح النّخلة عاجزة عن الإنتاج أو بعد موتها (3) . وتستعمل كل مكونات النّخلة في البناء كون أنسجتها متلاحمة ومقاومة (4) . فتصنع من الجذوع العوارض والأبواب والنّوافذ و الميزاب ، أما الأجزاء الأخرى كاللّيف و الكرناف والجريد فتستعمل بصفة خاصة في تسقيف المباني (5) . أن جذوع النّخل تستعمل في بناء الأسقف المسطحة كعوارض و يتم ذلك بعد تهيئتها بحيث يقطع الجذع طوليا و يقسم الى جزئين أو أربعة أجزاء متساوية ، و يعود ذلك حسب سمك الجذع ، تم تترك تحت أشعة الشّمس لمدة حتى تجف تماما . و من ثم تصبح صالحة للاستعمال . أما الجريد فتتم تهيئته بنزع السّعف منه و من ثم يتم تشبيعه بالماء و من ثم تصنع به ما يصطلح عليه بالسّدة ، و هي عبارة عن فراش خشبي يوضع فوق العوارض الخشبية حتى يمنع سقوط الأحجار و الأتربة من السقف . أما فيما يخص سعف النخيل فيشكل بها فراش فوق السّدة حتى يمنع تسرب ملاط أثناء عملية التّسقيف . والملاحظ أن بناء منزل سي الحواس لم يستعمل أي نوع آخر من الأخشاب غير خشب النّخيل الذي استعمل في كافة الأماكن التي استندعت ذلك .

-Chalet (L) : Les palmiers du M'ZAB .Bulletin de Sociologie et de Géographie d'Alger -1
.1905.pp11-87.

-2- انظر : VOISIN.(A.R): Opcit . p202.

-3- انظر : Revereau (A) : Opcit .p110 .

-4- انظر : Revereau (A) : Opcit .p 244.

-5- حملوي على . نماذج من قصور منطقة العمور . ص 295 .

ثانيا- تقنيات الإنشاء

يقصد بتقنيات الإنشاء هي تلك الطّرق التي استخدمها الإنسان عبر مرّ السنين لبناء مساكن تأويه أو أيّ نوع آخر من المنشآت ، أما معماريا فتعني طرق تجميع مواد البناء إلى بعضها البعض (1) . و يعني ذلك تصنيف و ترميم وضعيات مواد البناء و مدى تداخلها ، و هي تمثل أساس ترابط المواد فيما بينها ، وبالتالي ترابط المبنى ككل . وكان ذلك بواسطة تقنيات ابتدعها الأولون وطوّرها اللاحقون وتوارثتها من بعدهم الأجيال و أصبح العمل بها ضروري لسلامة المباني . و لقد برع سكان منطقة مشونش بطريقة عضوية نابغة من احتياج وظيفي تماشيا مع الظروف المناخية و الجغرافية للمنطقة أدت بهم الى استغلال المواد المتوفرة لديهم في بناء مساكن لهم .

1 – بناء الأساسات

قبل التّطرق الى طرق و تقنيات البناء يجدر بنا التّكلم بإيجاز عن مقاومة الأرضيات والأسس التي تتوضع عليها المباني . من المعلوم أن مقاومة الأرضيات تختلف باختلاف طبيعة الأرضية ، ويرجع ذلك الى نوعيتها من جهة ومن جهة أخرى تسرب أو عدم تسرب المياه فيها ، و يعني ذلك نسبة الرّطوبة في الأرضية . فبالنسبة للأرضيات الغير جيدة فيكون فيها النّقل

الدائم أقل من 01كلغ/سم² ، أما الأرضيات التي تكون نوعا ما جيدة فيتراوح فيها الثقل ما بين 1-3 كلغ/سم² ، في حين الأرضيات الجيدة فتتراوح فيها المقاومة ما بين 4-5 كلغ/سم² (2). و الملاحظ أنه كلما كان عمق الأساس أكبر كلما زادت المقاومة ، و لا يتطلب دائما بناء الأسس اختيار الحجارة ذات الأشكال المنتظمة بل المهم في ذلك أن تكون من النوع الصّلب و لا تكون صغيرة الحجم كون الملاط و الشّطايا يلعبان دورا هاما في تسوية وتنظيم الفراغات الموجودة بين الأحجار. كما أنّ سمك الأساسات بالضرورة يكون أكبر من سمك الجدران بحيث يفوقه بحوالي 20 الى 25 سم من كلا

- Martin (R) :** L'Appareil (Architecture) in Encyclopédia universitaire Acropus. **-1**
-(Altman-Arnold) .PARIS. 1990. P 670.
Planat.(P) : Encyclopédie de l'Architecture et de la construction vol VI . Fascicule **-2**
2. Paris nd. P 392 .

الجانبين ، و كي يكون الرّبط جيد بين الأسس و الجدران توضع آخر سافة من حجارة الأسس بشكل متطاول . كما أنه يمكن إيجاد مباني لا تحتوي على أساسات و ذلك يرجع لكونها بنيت فوق أرضيات صخرية يستغني فيها البناء عن حفر الأسس و يعتمد الى وسيلة أخرى تتمثل في زيادة عرض سمك الجدار من الأسفل ثم يضيق تدريجيا الى الأعلى (1) أما فيما يتعلق بعمق الأسس فيتراوح بين 50 الى 70 سم و هذا ما يزيد في تحمل الأرضية لثقل المبنى . و يختلف بناء الأسس حسب انحدار الأرضية ففي الأراضي المستوية يبني الأساس على مستوى واحد أما إذا كانت الأرضية منحدرّة فيبني على شكل سلم ، و هنا تكون كل السّافات أفقية ، ويتم إحكام ربطها بواسطة الحجارة المتطاولّة ، أما إذا كان المبنى فوق أرضية صخرية فيتم اختيار الأماكن الأفقية و يخدش الصّخر إذا كان أملسا و تفرش طبقة من الملاط في مكان الخدش و توضع فوقها حجارة الأساس . و الملاط يجب أن تكون به نسبة عالية من الجير يبني به الى غاية ارتفاع نصف متر أو ما يراه البناء ضروريا و ذلك لحفظ الأساس من الرطوبة ، و بعد ذلك يمكن استعمال ملاط من الطّين و الجير . أن بناء الأساسات لا بد أن يكون من الحجارة و ذلك لصلابتها كما أنها تعتبر عازل بالنسبة لطبقة المياه الباطنية و الرطوبة .

منزل سي الحواس كما أسلفنا الذكر يتوضّع على كدية استلزم الأمر في بناء أساسه استعمال تقنية الدّرج حيث نجد مستويين أحدهما يمثل أساس الطّابق العلوي و الثاني يمثل أساس الطّابق السّفلي ، و بنائهما كان من الحجارة الصّلبة التي تم جلبها من الوادي .

2- بناء الجدران

تختلف الجدران في بناء على حسب ارتفاع وسمك الجدار بحيث تقدر بنسبة أ/س ، أما فيما يخص جدران الطّابية فتكون النّسبة أكبر ب10مرات أي أ/س < 10 (2) .

-1 حملوي على . نماذج من قصور منطقة العمور . الجزائر 2006 . ص 303 .
-2 Dost (P) et Hays (A) : Construire en Terre . France.1979.p 25.

فان كان سمك الحائط 0.5م فهو يسمح بارتفاع يعادل 07 م أما إذا كانت البناءات غير عادية فليس من المجدي تخفيض سمك الحائط أقل من 0.4 م . و من خلال المعاينة الميدانية لمنزل سي الحواس لاحظنا عدم استعمال مادة واحدة في البناء فكانت هناك الحجارة الغير مهذبة وان تم تهذيبها فبشكل طفيف و كذلك استعمال مادة الطوب ، هذه الطريقة أو التقنية التي انتهجها البناء تدعى بتقنية المزج . في حين سجلنا غياب الطابية .

- تقنية المزج (INCERTUM)

هذه الطريقة في البناء معروفة منذ القدم ، حيث ظهرت في القرن الثالث ميلادي ، كما شاع استخدامها في بلاد المغرب أثناء حكم المرابطين و الصنهاجين ، فكانت الطريقة المفضلة لديهم . و من خلال المعاينة لمنزل سي الحواس يلاحظ استعمال تقنيتين في البناء ، حيث أن البناء استعمل الحجارة الصلبة غير مهذبة و التي جلبت من الوادي في بناء الأساسات و استبدلت بنوع آخر من الحجارة أقل صلابة في رفع الجدران الخارجية للمسكن ، كونه مبني فوق هضبة صغيرة ، هذه التقنية تستعمل عادة في المساكن المبنية على منحدرات أو فوق هضبات بحيث يرفع بحجارة الأساس من نصف متر الى 1.5 متر و ذلك حسب شدة الانحدار ، و يعود السبب في ذلك الى الرفع من قوة تماسك جدران البناء .

تستعمل هذه الطريقة مادتين أو أكثر من مواد البناء ، المختلفة نوعا وشكلا ، و تختلف استعمال هذه التقنية بحيث يمكن أن نلخصها فيما يلي

أ- العامل المناخي

نظرا للظروف المناخية المتقلبة تستعمل هذه التقنية لتقوية المبنى وزيادة مقاومته للتغيرات المناخية ، كالأمتار و الرياح والفيضانات التي عادة ما تجتاح منطقة مشونش بسبب الأودية التي تمر بها ، و توضع المواد الأكثر صلابة في الأماكن المعرضة لهذه التقلبات .

ب- العامل الاقتصادي

تستعمل المواد الصلبة في هذه الحالة كالحجارة المصقولة أو شبه مصقولة في الأماكن التي تمثل الهيكل الذي يرتكز عليه المبنى ، ويكون ذلك لهدف تقليل من تكاليف البناء ومواده . أو تكون المنطقة تفتقر لبعض المواد . أما في حالة منطقة مشونش فنحن نرجح فرضية التقليل من تكاليف البناء كون أن الحجارة متوفرة بكثرة وقريبة من مكان انجاز المسكن .

1- تقنية أدية و شناوي:

وهي تشبه بكثير تقنية المداميك ، حيث يراعى فيها أيضا المواد ذات الزوايا القائمة و المقاسات المتساوية ، مثل الطوب والحجارة المصقولة و المهذبة ، ويقصد بهذه التقنية وضع الكتل أفقيا تارة و على إحدى جانبيها و تارة على إحدى واجهتيها، وفي هذه الحالة تنجز السافة على المنوال التالي : توضع الطوبة الأولى طولا و على إحدى بطنيها ، و بذلك يظهر منها إلا أحد جانبيها أما الطوبة الثانية فتوضع طولا على بطنها باتجاه داخل الجدار بحيث يظهر منها سوى أحد الواجهتين . و لقد استعملت هذا الأسلوب بكثرة في منطقة مشونش.

2- تقنية المداميك :

طريقة المداميك اقتصرت على الحجارة دون سواها ، خاصة في بناء الجدران الخارجية ، و ذلك أن سمك الطوب لا يسمح بالحصول على جدران سميكة ، و تتم عملية البناء بهذه الطريقة بأن توضع الحجارة على كامل السّافة ، على إحدى بطنيها بحيث يكون أحد جانبيها يقابل محور الناظر ، و عند الانتقال الى الصّف الثّاني يترك فراغ يقدر بنصف الحجارة المستعملة ، ثم توضع الحجارة بحيث تتوسط الحجرتين المستعملتين ، وهكذا دواليك الى غاية الانتهاء من بناء العنصر المعماري . و قد استعملت هذه التّقنية في بناء بعض الجدران . صف الى أنها التّقنية الغالبة في المنطقة خاصة في البناءات التي تمت بالحجارة .

3-الأركان

إن المعنى الحقيقي لمصطلح الرّكن هو الزّاوية ، و يقال حائط مرّكن يعني متين البناء (1) . الرّكن هو أحد الجوانب التي يسند إليها الشّيء و يقوم بها ، و قد استخدم هذا المصطلح من قبل أهل البناء والآثار و يقصد به زاوية البناء . وهناك نوعان من الأركان داخلي وآخر خارجي

أ-الرّكن الداخلي

عند بناء الرّكن توضع الحجارة بشكل متداخل ، بحيث يكون الدّبش الأول من السّافة الأولى ذو واجهة طويلة ، حتى يكون التّرابط طوليا ، أما الدّبش الثّاني الذي يكوّن الرّكن مع الدّبش الأول فيتداخل معه . ولحفظ توازن المبنى يجب أن يكونا ذوي ارتفاع واحد حتى يسهل وضع السّافة الثّانية ، و يتحقّق توازنها ، علما بأن وضعية الدّبش الأول و الثّاني تنعكس في السّافة الثّانية .

ب-الرّكن الخارجي

في هذه الحالة يكون الدّبش الثّالث ، الذي يمثل الواجهة يساوي طوله أحيانا سمك الحائط ، و لتوازن السّافات يكون ارتفاع الدّبش الثّالث و الرّابع متساويين . أما السّافات الموالية ، سواء كان ذلك في الرّكن الخارجي أو الدّاخل فيستعمل فيها دبش بنفس القياسات و الأشكال نسبيا .

4-نظام التَّغْطِية :

لقد تعددت نظم التَّغْطِية و التَّسْقِيف في العمارة الإسلامية ، لا سيما المدينة و نخص منها بالذَّكر المسكن ، و عادة ما ترتبط بالسَّقْف بحيث يكون سميكا وثقيلًا وذلك راجع الى سمك كل طبقة من الطَّبقات المكوّنة له ، والتي يبلغ عددها الأربعة

أ-الطبقة الأولى

و تتكوّن من الخشب و ما يلقي عليه من لوح وقصب و في حالة منزل سي الحواس الخشب هو عبارة عن جذوع النَّخل التي لا تستعمل مباشرة بل بعد أن تقسم عرضيا الى قسمين ، ويمكن أن تقسم الى أربعة أقسام و هذا في تسقيف الأماكن التي لا يكون عليها الضَّغط كبيراً ، وغالبا ما تكون في الطَّابق العلوي أن وجدت ، ووضعا لا يكون على واجهتها بل يكون على جانبها الحاد و هذا لرفع قوة تحمّلها للأثقال ، و هي تكون عرضية في الغرف تربط الجدارين ، و يفصل بين عارضة وأخرى من 0.5 م الى غاية 1 متر على ابعده تقدير لضمان مقاومة كبيرة ، ثم تعلوها السّدة ، وهي مصنوعة من الجريد توضع فوق العوارض الخشبية تتراوح مساحتها من 2 م مربع الى غاية 4 م مربع ، ثم تفرش بسعف الجريد وذلك لمنع تسرب الملاط .

ب- الطبقة الثانية

و هي الطبقة التي تعلو الطبقة الأولى وهي تتكوّن من مادة الحجارة المتوسطة مع ملاط التمشمت نصف المغربل ، و تتم هذه العملية بفرش مادة الحجارة على كافة مساحة السَّقْف و يتم بناء الفراغات التي بينها بمادة التمشمت أو الملاط المصنوع من الجير و التراب و يكون نوعا ما سائلا حتى يتسرّب و يملأ كل الفراغات الداخليّة والخارجية و يعمل

على الرّبط الجيد بين الحجارة ويشكل بذلك طبقة متينة و قد أطلق ابن الرامي(1). مصطلح الأصطاك على هذه الطبقة .

ت- الطبقة الثالثة

تتكوّن هذه الطبقة من طبقة من التراب الجاف ، تفرش فوق طبقة الأصطاك يصل سمكها الى 0.2م ثم يقوم البناء بدكّها ورصّها حتى تصبح سويّة ، والفائدة من هذه الطبقة هي منع تسرب الرّطوبة الى الطبقة السّفلية .

ث- الطبقة الرابعة

و هي آخر طبقة من طبقات السَّقْف و تدعى بالأكحال ، وهي الطبقة السّطحية الأخيرة . وتتكوّن من الرّمّل و الجير ، وهي عبارة عن فراش من الملاط الجيري لمنع تسرّب

مياه الأمطار وهي أقل سمكا مقارنة مع الطبقة التي تعلوها و هذا النوع من التسقيف استعمل بالعديد من المناطق الصحراوية كورقلة و غرداية ، كما أنه يمكن أن توضع طبقة أخرى فوق طبقة بالأحمال تتكوّن من الرّمْل يصل سمكها الى 0.3 م وهذا تفاديا لوصول حرارة الشّمس و الأمطار (2) .

1- ابن الرامي هو محمد ابن إبراهيم اللخمي البّناء واشتهر بابن الرامي أو محمد البّناء و كني أبو عبد الله ، وقد نشأ بمدينة تونس و عمل بها وزار بعض المدن الأخرى من بلاد المغرب للقيام بمهام متعلّقة بالقضاء في البّناء و العمارة و قد عاش في المدة المحصورة بين النصف الثاني من القرن السابع الهجري و النصف الأول من القرن الثامن هجري وقد جمع بين البحث الفقهي والنظري و بين الخبرة الميدانية والعملية و بات يلقب بالمعلم و من أهم مؤلفاته كتاب الإعلان بأحكام البّناء .
- Didillon(J.M) ; Donnadio (P) : Opcit . p 95. - 2

5-تقنيات التّكسية

عند الانتهاء من بناء الجدران ، يعمل على تغطية وجهها الداخلي والخارجي بطبقة من الملاط الذي هو عبارة عن خليط متصلّب من مادة لاحمة ، تتكوّن من حبيبات دقيقة من الرّمْل و الطّين و الماء و أحيانا يستعمل التّراب الأحمر. و يدعم الكل بإضافة مادة الجير وهو يستعمل في الأعمال النهائيّة للمبنى ، وتسمى هذه الطّريقة بالتّكسية أي بمعنى جعل كسوة للجدار ، أو التّلييس أو التّلييس وهو المصطلح المستعمل من قبل أهل المهنة مثل ابن الرامي و مازال يستعمل في العديد من الدّول كتونس و مصر و السّعودية و ذلك بمعنى متقارب ، عملية التّلييس هذه تكون بمادة من الملاط التي تساعد على تقوية الجدران و حمايتها (1) من الأمطار و العوامل المناخية الأخرى . كما أنها تعمل على سد تلك الفراغات المتواجدة بين مواد البّناء ، ولإتقان هذه العملية أكثر خاصة في المباني الرّاقية يقومون بتلييسها بواسطة حجر معين حتى تصبح تلك الجدران و الأرضيات جد ملساء و تختفي الشّقوق نهائيا ، كما أن هذه العملية توفر سطحاً أملساً للجدران يمكن زخرفته و تزيينه أن يرغب في ذلك . و تختلف المواد التي تستعمل في تكسية الجدران كالطّين و الجص و ألبغلي و غيرها من المواد ، واستعمالها يرتبط بعوامل مختلفة ، كتوفر نوعية معينة دون أخرى ضف الى مكان استعمالها ، فمادة التّلييس المستعملة في الجدران الخارجية ليست هي نفسها المستعملة في الجدران الداخلية ، حيث يخلط الرّمْل الناعم بمادة الجير و يستعمل للتّلييس الداخلي لجدران المساكن أما الخشن منه فبعد خلطه بنفس المادة يستعمل كفراش لأرضيات المباني (2) . أما الحال في مسكن سي الحواس فقد كانت مادة التّلييس المستعملة هي الملاط الطّيني مضاف إليه كمية قليلة من الجير لرفع درجة تماسكه ، ومن هذا نرى أن إتقان بناء الجدران و هذا بالحد من نتوات الصّخور أو الدّبش المستعمل في البّناء يدفع الى استعمال كمية قليلة من الملاط ، لذلك نجد بان المباني المبنية بالحجارة المصقولة أو اللّبن الطّيني عادة ما تكون مستوية الجدران حتى أن طبقة اللّياسة تكون رفيعة نوعا ما .

-1 -MANUEL (R). Opcit . p76 .

-2 -Nachtergal .(C). Opcit . p35.

6- السلالم

و تسمى أيضا بالدرج ، وقد عرفت في الحضارات القديمة ببلاد الرافدين و كريت و مصر ، وما الرسومات الجدارية الملاحظة على قبور الفراعنة بمصر إلا دليل على ذلك(1) . هذا العنصر المعماري كانت الغاية منه تيسير الانتقال من المستوى الأرضي الى المستوى العلوي ، و يبلغ عرض السلم العادي 0.9 م ، و هذا قياس معقول لأنه يسمح بمرور شخصين في وقت واحد كما أنه لا يشغل حيزا كبيرا خاصة وانه لا يستحسن بأن تكون السلالم جد واسعة لما تأخذ من مساحة كبيرة ، وكذا كلفة أكثر و لا ضيقة بأن لا يستطيع شخصان السير عليها(2) . موقع السلم في مسكن سي الحواس و مساكن المنطقة عادة ما يحدده التخطيط العام و كذا اتجاه المسكن ، فهو يحتل أحد أركان وسط الدار كما هو الحال في هذا المسكن أو متصلا مباشرة بالطابق العلوي(3). و مثل هذا التوزيع معروف في مساكن قسبة ورقلة ، تقرت ، الأغواط و غيرها . أما فيما يخص طريقة بنائها فهي تشابه الى حد كبير تلك التي وجدت بمنطقة وادي ميزاب ، بحيث أن أدراج السلم ترتكز على عمود من النخل يكون عريضا من الجوانب ليمتص العديد من الهوامش(4)، و توضع على جانبيه أعمدة من اليمين واليسار ، ثم تستمر العوارض الخشبية التي لا يزيد عرضها 1.2م بالتقاطع مع العمود المركزي . وكل هذه الألواح الخشبية تغرس في الحائط من أحد الجانبين و بعد تحضير هيكل السلم ، يشرع في بناء العتبات و جدار السلم ، ويتم بناء هذه العتبات من عارضة لأخرى بالحجر و الملاط(5). و قد نجدها ترتكز على جدارين بحيث تثبت العوارض الخشبية عليهما تم تفرش بالتبشمت ليوضع فوقه الحجارة المسطحة(6) ، وفي بعض المساكن عندما يكون سقف البيوت ليس على مستوى واحد بحيث يتفاوت الارتفاع بينهم بمترا أو أكثر ، في هذه الحالات تستعمل جذوع النخل كسلالم بحيث يتم تهيئتها لهذا الغرض.

1- الريحاوي عبد القادر . البيت في المشرق العربي . ص 19.

2- Ricard(P). Pour comprendre l'Art Musulman dans l'Afrique du Nord et en Espagne . Hachette, Paris1824.p114.

3- عقاب (محمد الطيب) . المدخل الى السكن العربي الإسلامي بمدينة الجزائر. ص 13.

4- RAVEREAU (A) : Op cit . P 79.

5- Ib id . P 79 .

6- أسامة كمال النحاس ، عمارة الصحراء ، مطبعة برانت مصر ، ص 246 .

الخلاصة:

من خلال هذا الفصل وجدنا أن العمارة في واحة مشونش سواء في استعمالها لمواد البناء التي لم نجد قط ما يمكن جلبه من بعيد فكلها كانت مواد محلية بحنة تدل على مدى استيعاب وتطوير للسكان هذه المناطق لما توفره الطبيعة من مواد واستغلالها لصالحهم فهذه مواد البناء من رمل وحجر تؤخذ كما هي وتستعمل ، وطوب وخشب يتم تهيئته من حالته الطبيعية على قدر الحاجة و يستعمل هو كذلك بعد ذلك ، اللهم في حالات قد نجد اختلافا في

استعمال هذه المواد من منطقة إلى أخرى و السبب في ذلك يرجع إلى درجة توفرها ، ضف إلى تقنيات الإنشاء التي لا تختلف إطلاقاً عن باقي الواحات الأخرى فهي تتقيد بالتعاليم والنظم الإسلامية . فما وجدناه في منزل سي الحواس كان قد تكلم عليه ابن الرامي وغيره من المعماريين المسلمين في أماكن أخرى و هذا ما يدل على استمرار و توارث هذه الحرفة أنا وهي حرفة العمارة وكيفية التطوير المتوفر من المواد لخدمة الإنسان ، خاصة وان استعمال مواد المنطقة في البناء بها أحسن و ابخس ثمنا من استعمال مواد جلبت من مناطق أخرى .

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة الوصفية التحليلية التي أجريناها على الدور الواحية خاصة دور منطقة مشونش ومسكن سي الحواس بصفة خاصة ، توصلنا إلى العديد من الاستنتاجات التي تخص الموضوع مباشرة إضافة إلى أخرى تخص عموم المناطق المشابهة لهذه المنطقة و سوف يتم تلخيصها على الشكل الآتي :

إن جلّ الدراسات التي تناولت الصحراء بشكل عام والواحات بشكل خاص إلا و تطرقت إلى الدور الفعال الذي لعبه العرب المسلمين في كشف وتطوير مثل هذه المناطق (الشّام والعراق ومصر والمغرب) ، و هذا مرجعه إلى أن العرب المسلمين سكان بادية و يعرفون أمورها و أهوالها ، ولما قابلتهم بادية أخرى أثناء الفتوحات التي قاموا بها لم يقلو ما يخشونه فيها ، و وجدوا قبائل توافقوا معها من حيث العادات والتقاليد و كان ذلك عاملاً لصالحهم .

تعتبر الواحات الفضاء المعيشي الوحيد في الصحراء ، وعند ما يتم ذكر واحة يتبادر إلى الذهن مباشرة خضرة و ماء في وسط طبيعي قاحل ، وعلى هذا فإنه لا تكون هناك دراسة على العمارة في الصحراء دون ذكر وجه الارتباط الحقيقي بينها وبين الزراعة و باتت العمارة الصحراوية ترتبط ارتباط وثيقا بالزراعة التي هي مورد الحياة . و قد ورد هذا الأمر في العديد من المصادر و المراجع الإسلامية . إضافة إلى ذلك فان هذه المستوطنات الواحية عملت في الغالب على حماية نفسها بنفسها وهذا ملاحظ عبر العديد من القرون و على مختلف الإمارات فكانت دائما هذه الأماكن البعيدة رغم تبعيتها لحاضرة دولة

ما إلا أنها دائما كانت مستقلة في تسيير شؤونها و ربما يرجع ذلك إلى بعدها عن مراكز السلطة والحكم و عليه فقد عمل سكان هذه المناطق بإنشاء تحصينات دفاعية تقيهم شرّ الطّارقين كما زودت نفسها بنظام داخلي يعمل على تنظيم الحياة اليومية بها ، و بذلك باتت تشكل دولة ضمن نطاق مساحتها . هذا من جهة ، و من جهة أخرى العمارة الصحراوية تتميز بخاصيتين ، أولاهما القصور و هي عبارة عن تجمعات سكنية مكتظة محمية بموجب سور محيط تقطنها قبيلة أو أكثر . وثانيا طرازها المعماري والهندسي الذي يتميز بالبساطة و بمواد بنائه التي لا تتعدى ما توفره الواحة من مواد طبيعية حجارة و ترابا و خشبا . و رغم هذه البساطة في المواد و التقنيات إلا أنهم تمكنوا من الإبداع في هذا المجال ، وما الدار محل الدراسة مثال على ذلك . كما يمكن استخلاص العديد من النتائج والملاحظات نلخصها فيما يلي :

- منذ القديم كانت واحة مشونش البوابة الجنوبية لمنطقة الأوراس ، بحيث أنها كانت منطقة عبور للقوافل التجارية أو العسكرية المتوجهة إلى الشمال ، و قد اشتهرت هذه الطريق الجبلية المختصرة منذ أمد بعيد خاصة خلال فترة الدولة النوميديّة و اثناء السّيطرة الرومانية للمنطقة ، بحكم تواجد العديد من المستوطنات كلومباز و تازولت و تيمقاد الى الشمال و فيسيرا و تابيدوس الى الجنوب .

- يعود سبب استقرار السّكان بهذه الواحة لموقعها على ضفاف الوادي الأبيض الذي عادة ما يستمرّ جريانه طوال السنّة على حسب الفصول . وربما يعود هذا الاستقرار إلى فترة ما قبل التاريخ .

- كان للتّضاريس المحيطة بالمنطقة دورا هاما يتمثل في توفير الحماية الكافية لأهلها خاصة و أنها تتوضع في هوة تحيط بها الجبال من كل صوب . لذا بنيت النّواة الأولى للمنطقة فوق مرتفعات غير بعيدة عن مصدر المياه.

- يمكن أن تكون النّواة الأولى للمستوطنة السكنية بواحة مشونش هي تلك القلعة التي تتميز ببناء متراس و هي مبنية بالحجارة مستعملة في ذلك طريقة المداميك و لعل هجرانها و البناء في نواحي أخرى راجعا إلى توفر الأمن أو سياسة المستعمر الفرنسي الذي عمل منذ دخوله إلى الجزائر على تفكيك الروابط الأسرية و كل شيء من شأنه أن يوحد الأمة .

- عدم وجود ما ينفي أو يؤكد أصل تسمية الواحة بمشونش فهناك من يرجعها إلى بلدة قديمة اندثرت تدعى منشونة حسب الباحث "دوسان" وقد حلت محلها قرية مشونش ، إما البكري فهو يرى بأن هذه القرية كانت تابعة لحاضرة بسكرة وقد اندثرت تماما . إلا أننا نرى في الرّأي الثّاني أكثر صوابا خاصة وان تسمية هذه الواحة باللغة المحلية هي أمسونيس وهي جمع أمسون وتعني الحديقة أو الجنان بالدارجة و جمعها جنان .

- يعود تاريخ إنشاء دار سي الحواس رغم عدم وجود أدلة مادية كالمخطوطات أو غيرها من الأدلة إلى أكثر من قرن ببعيد ، وهذا الاستنتاج كان لسببين هما :

* إن عبد الرّزاق والد الشّهد سي الحواس و لد بهذه الدّار حوالي سنة 1884 و يبلغ عمر الدار في هذه الحالة 124 سنة هذا من جهة .

* ومن جهة أخرى توفّر الدّار على غرفتين يحملان اسم إبراهيم و الطّاهر بن الصّادق بلحاج و كلاهما تردد على الدار قبل أسرها سنة 1859 . ولو اعتبرنا أن هذه السنة التي ترددا فيها على الدّار فيصبح عمرها إذن 149 سنة. وهو اجتهاد قد نصيب فيه أو نخطأ.

- تتميز مختلف الدّور في واحة مشونش ببساطة بناياتها و بعدها عن التّرف و الزّخارف في حين حافظت على نمطها الإسلامي البحت .

- تميّز مواد بنائها بما توفره الطّبيعة المحيطة دون سواه من المواد . و استغلال الموفور من المواد مما يجعلها سهلة وفي متناول الجميع ، و لعل هذا كان سببا في حل العديد من المشاكل في ذلك الوقت ! و ربما هي نفسها التي يتخبط فيها المجتمع اليوم؟

- تميّزت دار سي الحواس عن غيرها من دور الواحة وقد تفردت في ذلك بتوفرها على مصلى و زاوية و ضريح ، مما يجعل لها أهمية كبيرة عن باقي الدّور في المنطقة ، وخلال زيارتنا المتكرّرة للمنطقة لم نسمع أن دارا تتوفر على هذه المعطيات كلها أو بعضها ، فأما الضّريح هذا فهو يشمل أهل الدّار ، وهي طريقة مستوحاة من مشايخ الزّوايا و الطّرق التي عادة ما يدفنون و يصبحون من بعد ذلك مزارا لتابعيهم . و عادة ما تتوفر الزّاوية القرآنية في الوطن العربي على مصلى وحتى مسجد على حسب الطّريقة و عدد تابعيها كالزّاوية التّجانية و الرّحمانية وغيرها ، و هذا دليل على أن صاحب الدّار كان على دراية بمثل هذه الأمور مما دفعه إلى التّقليد أو أنه يتبع طريقة من هذه الطّرق فأثر إتباع منهاجها .

و خلاصة القول أن أغلب المنشآت الصّحراوية خاصة منها الدور ، لا تزال تحتفظ بطابعها الأصيل سواء العمراني أو المعماري ، و رغم ما مرّ عليها من ظروف طبيعية وبشرية ، و يزيد من شأنها وقوفها الشّامخ إلى يومنا هذا مقارنة مع المباني التي نراها اليوم و لا نجد ما

يؤكد هذا الطّرح و نختم به سوى قول المهندس المعماري وولف توتشترمان قوله " إن الصّورة أصبحت ملحة للاستفادة من العمارة التّقليدية ، بعد أن أدرك المهندسون المتخصصون الأخطاء الكامنة في النّمط المعماري الحديث الذي يطبق لكل الأغراض تطبيقا عشوائيا في كل الأنحاء والأجواء ."

توصيات:

من خلال الدّراسة التي قمنا بها على منزل سي الحواس ، تبين وان هذا المسكن قد تعرض إلى عملية ترميم سنة 1992 ، ورغم أن عملية الترميم هذه لم تكن على أسس علمية إلا أنها كانت ناجعة لتمديد عمر هذا البناء ن في حين تم خلالها إضافات وتغييرات على الشكل العام للبناء . وفي سنة 2008 تعرض هذا البناء مرة أخرى إلى عملية ترميم جديدة حدث خلالها هي كذلك إضافات كانت على مستوى بعض التّنوّعات و كذا في السقف كان الأجدر أن لا تكون .

إن عملية صيانة أي معلمي مهما كان نوعه يجدر أن تكون محلّ دراسة من المختصين في ميدان الصّيانة والتّرميم و القصد منها ليس تجديد المعلم و إنما الحفاظ عليه ليديم أكثر ، و دار سي الحواس هذه ما دامت قد خصصت كمتحف تاريخيا للثّورة ، فيجب أن يراعى هذا الجانب فيها . كونها هي كذلك تمثل معلما اثريا ورمزا من رموز العمارة الصّحراوية التي تجمع بين الأناقة و البساطة في آن واحد .

يجب التّدكير دائما إلى أن الشيء الثّمين لا نقدر قيمته إلا إذا اندثر و زال و غاب عن الوجود . و لتفادي هذا لا بد من إعطاء العناية الكافية لمثل هذه المواقع الأثرية بغض النظر عن انتمائها أو بعدها الحضاري .

المصادر والمراجع .

1- باللغة العربية :

أ- المصادر

- * القرآن الكريم : برواية حفص .
- * ابن أبي الربيع (شهاب الدين احمد بن محمد): سلوك المالك في تدبير الممالك ، دراسة وتحقيق ناجي التكريتي ، ط1 ، تراث عويدات ، بيروت-باريس 1978.
- * ابن الأثير : الكامل في التاريخ . مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقماق.المجلد7.دار الكتب العلمية. بيروت.1987.
- * ابن العذاري (المراكشي): البيان.المغرب في أخبار الأندلس.ج1.دار الثقافة.بيروت 1980.
- * ابن الرامي. الإعلان بأحكام البناء . تحقيق محمد عبد الستار عثمان .دراسة أثرية معمارية . الإسكندرية . 2002.
- * ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبا الفضل) : الإصابة في تمييز الصحابة . المجلد الثاني . ج3و4 . دار الكتب العلمية ، بيروت دت،
- * ابن حماد: أخبار بني عبيد وسيرتهم . مطبعة جول كوبونال . الجزائر . 1927.
- * ابن صاحب الصلاة (عبد الملك ابن محمد) : تاريخ المن بالأمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة و جعلهم الوارثين ، تحقيق عبد الهادي التازي ، ط1،السفر2.دار الأندلس للطباعة و النشر ، بيروت 1964.
- * ابن قتيبة (أبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري): كتاب عيون الأخبار، المجلد الأول ، ج3، دار الكتاب العربي ، بيروت، دت.
- * ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد):. لسان العرب.الدار المصرية للتأليف والترجمة، بيولات ، ج11.
- * أبو العرب : طبقات علماء إفريقيا و تونس . تقديم و تحقيق على أشابي و نعيم حسين اليافي . دار التونسية للنشر . 1968 .

- * ابو عبيد الله البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية –والمغرب- تحقيق دوسلان ، الجزائر 1875.
- * الفرستائي (أبو العباس أحمد) : القسمة و أصول الأرضين ، تحقيق و تعليق وتقديم الشيخ بكير ومحمد الصالح ناصر ، ط2 ، نشر جمعية التراث القرارة .
- * الفيروز آبادي(مجد الدين): القاموس المحيط ، ج2، دار الجبل ، بيروت .ص122. كذلك وجدي محمد فريد : القصر ، دائرة معارف القرن العشرين ، المجلد7، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، 1971.
- * الإدريسي (أبو عبد الله محمد): المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق ، تحقيق محمد حاج صادق ، ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر1983.
- * القزويني (زكريا بن محمد) : آثار البلاد و أخبار العباد . دار صادر بيروت 1960 .
- * الوزان (الحسن بن محمد) : وصف إفريقيا ، ترجمة د. حجي و د. محمد الأخضر ، ط2 ، ن ج1، دار المغرب الإسلامي ، بيروت 1983
- * المجليدي احمد سعيد : كتاب التسيير في أحكام التسعير ، تقديم وتحقيق موسى لقبال ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر.
- * اليعقوبي (محمد بن ابي يعقوب) : كتاب البلدان . مطبعة بريل ، ليدن 1891.
- * عبد الرحمان ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم والبربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر . الطبعة الثانية . مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر . بيروت 1959.- ج 3.1 .

ب- المراجع

- * الريحاوي (عبد القادر) : البيت في المشرق العربي الإسلامي . المؤتمر العاشر للآثار من 15-18 . نوفمبر 1982 . تلمسان 1982 .
- * الزر كلي خير الدين: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب و المستعربين و المستشرقين . المجلد 3 . ط 11 . دار العلم للملايين ، بيروت 1995.
- * التوني يوسف : معجم المصطلحات الجغرافية ، دار الفكر العربي . بيروت 1977.
- * أيوب (عبد الرحمان) : "من قصور الجنوب التونسي . القصر القديم" . النقائش و الكتابات القديمة في الوطن العربي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس 1988.
- * الخولي (بدر الدين) : المؤثرات المناخية و العمارة العربية . الجامعة العربية ببيروت.1975.
- * ابراهيم مياسي: من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر.ديوان المطبوعات الجامعية .1999 .
- * توريس (بلباس) : الأبنية الأسبانية الإسلامية . ترجمة علية إبراهيم العناني . في صحيفة معهد الدراسات العربية بمدريد . 1ع . مدريد 1953.
- * حملاوي (علي) : نماذج من قصور منطقة الأغواط. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.الجزائر2006 .

- * **خالص الأشعب** : المدينة (العربية) ، التطور ، الوظائف ، البيئة والتخطيط . بغداد . المنظمة العربية للتربية والثقافة و العلوم .1982 .
- * **نجيب محمد مصطفى** : العمارة في عصر المماليك . القاهرة تاريخها و فنونها و آثارها . القاهرة 1970 .
- * **نسيب (محمد)** : زوايا العلم والقرآن بالجزائر ، دار الفكر ، دمشق / الجزائر ، د.ت.
- * **نقولا نقاش** : دائرة المعارف . م 1 . بيروت 1996.
- * **سليم عادل عبد الحق** : تشييد بغداد وأثره في فن العمارة و العمران العربي و العالمي . الحوليات الأثرية السورية .1963 . المجلد الثالث عشر .
- * **شنييتي (محمد البشير)** : الاحتلال الروماني للمغرب (سياسة الرومنة .146ق م/40م). الشركة الوطنية للكتاب . الجزائر . 1985.
- * **شافعي (فريد)** : العمارة العربية في مصر الإسلامية . عصر الولاية . المجلد 1. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر . 1970.
- * **فتحي (حسن)** : العمارة الإسلامية و الذاتية الثقافية و اتصال الأرض بالسماء، مجلة تنمية المجتمع . العدد الأول، السنة السابعة ، القاهرة 1982 ، .

- * **زهير احداق** . شخصيات و مواقف تاريخية . الجزائر 2002.
- * **عبد الرحمان بن محمد الجيلالي**: تاريخ الجزائر العام. الجزائر 1995. ج2.
- * **عقاب (محمد الطيب)**: المدخل الى المسكن العربي الإسلامي بمدينة الجزائر ، المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية ، تلمسان- الجزائر 15-18 نوفمبر 1982.
- * **محمد عبد الستار (عثمان)** : المدينة الإسلامية . عالم المعرفة 128. الكويت 1988 .
- * **محمد سحنوني** : ما قبل التاريخ . مطبعة جامعة الجزائر. الجزائر 1992.
- * **محمد العيد مطمر** : حامي الصحراء احمد بن عبد الرزاق حمودة. باتنة 1990 .
- * **محمد الهادي لعروق**: أطلس الجزائر والعالم . الجزائر . 2005 .
- * **مقلد الغنيمي (عبد الفتاح)**: موسوعة المغرب العربي، ج1، مكتبة مدبولي ، القاهرة 1994
- * **يحي بو عزيز**: الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسطى-الجزائر 1992.

ت- الرسائل الجامعية

- * **عقاب (محمد الطيب)**: قصور مدينة الجزائر في العهد العثماني.رسالة دكتورا. الحلقة الثالثة. الجزائر 1982.
- * **حملاوي علي** : قصور منطقة جبال العمور (السّفح الجنوبي) من القرن 16-19م ، دراسة تاريخية و أثرية ، رسالة دكتوراه الدولة في الآثار الإسلامية ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة الجزائر (د.ت).
- * **عليق نابت(ر)**: قصر ملوكة بأدرار (اقليم التوات). دراسة تاريخية اثرية . بحث لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية . جامعة الجزائر . 2001-2002

ث- المجالات :

- * مجلة سيرتا – العدد 12- قسنطينة 1999.
- * مجلة أضواء الأوراس التاريخية – عدد تجريبي- باتنة 2006.
- * مجلة أول نوفمبر .اللسان المركزي للمنظمة الوطنية للمجاهدين ، العدد 90-91 ، شعبان/رمضان 1408 هـ ، مارس / أبريل 1988.
- * مجلة أول نوفمبر . العدد 97/96 سبتمبر .أكتوبر 1988.
- * مجلة المجاهد العدد 40 . 02 أبريل 1959 .
- *مجلة الدراسات التاريخية . شنييتي (محمد البشير). التوسع الزراعي الروماني وظاهرة البداوة في الجزائر . ع2 .1986.
- * الجبوري (حسن علي) : أثر الخوف و القلق على طراز البناء في منطقة النّجف وكربلاء . مجلة التّراث الشّعبى . وزارة الأعلام العدد 7 . السّنة السّادسة . بغداد 1975 . ص 85-96.

2 - المحادثات :

- لقاء مع السيد : الهادي بن محمد عم الشهيد سي الحواس بتاريخ 10-10-2007.

3- باللغة الأجنبية :

- Abdel Malek (H)** : Influence du droit musulman sur l'organisation de l'espace urbain . Mémoire pour l'optent ion de magister en urbanisme . EPAU . Alger . 1991 .
- Adam.(A)** : La maison et le village dans quelques tribus de l'Anti Atlas ; Hesperis ; 1950.
- **Guyon .(s.n)**. Voyage d'Alger au Ziban. Paris1850.

- Bisson (J)**. Le Gourara. Etude de géographie humaine .Mémoire n°3.I.R.S. Université d'Alger . SD .
- Brigol.(M)**. L'habitat des nomades sédentaires à Ouargla .T.I.R.S. T16.1957.
- CAMPS. (G)** : Origine du Romaune Massyle. Revue d'Histoire et de civilisation du Maghreb . Alger .1967 .
- Courtois (Ch)** : De Rome à L'Islam . Revue Africaine .t xxxvi. Alger.1.2.tri.1942 .
- **CARTON** . Climatologie et agriculture de l'Afrique ancienne dans bulletin de l'Académie d'hipopone XXII.1894.
- **Capitaine Lehuraux** : Le Sahara et ses Oasis .AE125. Paris 1925.
- Capot (Ray)** . L'Afrique blanche française. Presse universitaire de France .Paris 1953.
- **Capot (Ray)**. Greniers domestiques et greniers fortifiers au Sahara . Le cas de Gourara . T.I.R.S. T14.1923. P (274-329) et (448-522).
- **Des pois (J)** : La Bordure Saharienne de l'Algérie Orientale .R.A .Alger.1942. 3/.4tri.
- Echallier .(J.C)**. Essai sur l'habitat sédentaire traditionnel au Sahara algerien .Paris. .1968.
- Echallier (J.C)** .Village désertes et structures agraires anciennes du touat .Gourara (Sahara algérien) . Arts et Métiers graphiques . paris 1972.
- **Gabriel (A)**. Les fouilles d'al –Foustat et les origine de la maison arabe en Egypte .Paris 1921.
- **GABRIEL (A) et Bahget (A)** : Les fouilles d'al-Foustat et les origines de la maison arabe en Egypte . Paris 1921 .
- Gal.A.Moinier**. El g-Goléa. Le Ksar el Harratin . Rev .afr . N° 50.1906.
- **Gsell.(S)**. Atlas Archéologique de l'Algerie.Alger.1997. T1.2^e édition. F N°38 .
- **Gide (A)** : Biskra. Les Ziban . Algérie . Archive e Constantine.1954.
- Guesoy (F)**. : L'Armée d'Afrique .
- Jean Leon L'Africain** . Description de l' Afrique . Paris 1981.
- Kassab (T)**. Evolution du patio dans la maison d'habitation individuelle en Algérie . Les cahiers de l'EPAU.7/8 . 10/98
- LE COMMANDANT GUENIN** ; Inventaire Ardeal du cercle de Tebessa . Archives des Missions. 1908.

- **Leschi (L)** : Rome et les Nomades du Sahara .Travaux de l'Institut de Recherche sahariennes. t1 .
- Maunier.(R)**. La construction collective de la maison en Cabylie . Institut d'Ethnologie.Paris.1962 .
- Marçais(G)** : Salles . anti salle . Recherches sur l'évolution d'un thème de l'architecture domestique en pays d'Islam ; Extrait des Annales de l'Institut d'Etudes orientale; T10 . 1952 .

Marçais.(G). L'urbanisme musulman. Cinquième congrès de la fédération des Sociétés savantes de l'Afrique du Nord . Tunis. 6-8 .Avril 1939 .Alger 1940.

Masqueray (E). Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie . EDISUD. Aix en Provence .1983.pp38-56.

.Martin.A.G.P . A la frontière du Maroc. Les Oasis sahariennes . (Gourara.Touat.Tidikelt). ed . de l'Imprimerie .Alger. 1908 . pp 25.59 --

Mangin (E). Note sur l'histoire de Laghouat . 1894. pp.91-93.

-**Noweir.(S)**.et **De Paule.(J.CH)**. La maison et son usage .Architecture .Mouvement Continuité v48.

Renier.(s.n) Archives des Mission. PARIS 1854. .TII.

-**Renier.(s.n)** Archives des Mission. PARIS 1854. .TII.

- **SALAMA (P)**: Quelques incursions dans la zone occidentale du Limes de Numidie dans l'armée romaine . L'armée romaine d'Afrique et de la III légion d'Auguste .Actes de la table ronde organisée le 12 et 13/09/1989 à Lourmarin . Extrait d'Antiquités africaine .

-**Picard (G.CH)**.Civilisation de l'Afrique romaine . Paris. 1960.

- **Sourdel (D) et (J)** : La civilisation de l'Islam classique .éd .Arthaud . Paris 1983.

-Lettres du **Maréchal de St Arnaud** . t1 . Paris . Lévy 1855.

ملحق الخرائط والأشكال والصور

ملحق الخرائط



خريطة 2: الموقع الفلكي لولاية بسكرة



خريطة 4: الموقع الفلكي لواحة مشونش .

ملحق الأشكال

ملحق الحضور



صورة 1 تمثل قلعة مشونش القديمة الواقعة بحي لقرارة



صورة رقم 2: واجهة دار سي الحواس.



صورة رقم 3: توضّح قبر والد الشهيد.



صورة رقم 4: تمثّل الممر المؤدي الى بيت الماشية.



صورة رقم 5: صورة لمدخل غرفة الشهيد.



صورة رقم 6: تمثل مدخل المطبخ .



صورة رقم 7: تمثل أعمدة المصلى الخشبية.



صورة رقم 8: تمثل محراب المصلى .



صورة 9 تمثل التيجان الخشبية



صورة 10 تمثل زخرفة هندسية على جدار المصلى



صورة رقم 11 : تمثل عملية المزج في البناء.



صورة رقم 12: تمثل الجبال المحيطة بالواحة .



صورة رقم 13 : تمثل وادي مشونش .



صورة رقم 14: توضّح مادة الطّوب الممزوجة بالحصى.



صورة رقم 15: توضّح السّدة.



صورة رقم 16: توضّح طبقات السّقف .



صورة رقم 17: توضّح جذوع النّخل المهيأة .



صورة رقم 18: توضيح السلم .



صورة رقم 19: سلم مصنوع من خشب النَّخيل .

الفهرس

2.....	الإهداء
3.....	شكر وتقدير
4.....	المختصرات
5.....	المقدمة
09.....	مدخل عام : (تطور الواحات والتعريف بصاحب الأثر)
11.....	- أولا : الإطار الجغرافي
11.....	1- التّضاريس.....
12.....	2- المناخ
13.....	3- التّركيبة الاجتماعية
15.....	- ثانيا : الإطار التّاريخي
16.....	1- المنطقة خلال العصر القديم
19.....	2- المنطقة خلال الفترة الإسلامية
27.....	3- مشونش أثناء الاحتلال الفرنسي
28.....	- ثالثا : التّعريف بصاحب الأثر
34.....	الفصل الأول: (تاريخ الواحات وأنماطها السكنية)
36.....	- تمهيد
37.....	أولا - الإطار الجغرافي (أنواع الواحات)
37.....	1- واحات تقليدية :
37.....	أ- واحات على منبع جبلي
37.....	ب- واحات على الأودية
38.....	ت- واحات عند الينابيع المائية
38.....	ث- واحات على منابع تقليدية
38.....	2- واحات حديثة
39.....	أ- واحات حديثة على آبار
39.....	ب- واحات على السدود الخزانات
40.....	ثانيا - الإطار التّاريخي :
40.....	1- عوامل الظهور:
40.....	أ- العامل الاقتصادي
42.....	ب- العامل الدّيني
42.....	ت- العامل الجغرافي
44.....	ث- العامل الدّفاعي
44.....	ج- العامل الإداري
45.....	2- مراحل النمو
45.....	أ- مرحلة الظهور والنّشأة
45.....	ب- مرحلة التّمو
45.....	ت- مرحلة النّضج
46.....	ث- مرحلة الاكتمال
47.....	ثالثا - أنماط المنشآت الواحية
48.....	1- القصور الصحراوية الخلاصة
51.....	2- علاقة القصر بالمدينة

54.....	3- أنماط القصور الصحراوية
60.....	- الخلاصة
61.....	الفصل الثاني: (أنماط الدور الواحية)
63.....	أولاً- أنماط المساكن الواحية
65.....	1- الدور في واحات سوف
66.....	2- الدور في واحات الأغواط
69.....	3- الدور في واحه مشونش
71.....	ثانياً- مسكن سي الحواس
72.....	1- الموقع
	2-
	الموضع
	72.....
73.....	3- مخطط البناء
74.....	أ-التوجيه
75.....	ب-السقيفة
76.....	ت-الرواق
77.....	ث-الفناء
78.....	ج-القاعات
78.....	1-البيوت
79.....	2-الغرف
81.....	ح-المطبخ
81.....	خ-دورة المياه
82.....	4- الضريح
83.....	5- المصلى
85.....	6- الزاوية
86.....	7- أوجه الاختلاف والتشابه
89.....	- الخلاصة
90.....	الفصل الثالث (تقنيات البناء ومواد الإنشاء)
92.....	أولاً- المواد الإنشائية
93.....	1الحجارة
94.....	2الطوب
96.....	3الرمل
97.....	4الطين
98.....	5الجبس
101.....	6الملاط
103.....	7الخشب
105.....	ثانياً- تقنيات الإنشاء
105.....	بناء الأساسات
106.....	7- بناء الجدران
109.....	8- الأركان
109.....	ت- الركن الداخلي
109.....	ث- الركن الخارجي
110.....	9- هياكل التغطية

110.....	ج- الطّبقَة الأولى.....
110.....	ح- الطّبقَة الثّانية.....
111.....	خ- الطّبقَة الثّالثة.....
111.....	د- الطّبقَة الرّابعة.....
112.....	10- تقنيّات التّكسيّة.....
113.....	11- السّلام.....
114.....	الخلاصة.....
115.....	الخاتمة.....
119.....	التّوصيات.....
120.....	ثبّت بالمصادر والمراجع.....
135.....	فهرس الخرائط.....
145.....	فهرس الأشكال.....
160.....	فهرس الصور.....
168.....	فهرس المحتويات.....

بسكرة . الجزائر .
2008